

المكتبة الصغيرة



لأرطام بن سحيب

عبد العزيز الرفاعي

أرطأه بن سحّية

حياته وشعره

عبد العزيز الرفاعي

الطبعة الأولى

المحرم ١٣٩٩ هـ

ديسمبر ١٩٧٨ م

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بالرغم من أن هذا الكتيب ، 'يعدّ' وحدة واحدة قائمة بذاتها .. الا أن هناك صلة وثيقة تربطه بكتيب آخر ، صدر في هذه السلسلة قبله ، وأعني به كتيب (ضرار بن الأزور) ، الذي حمل العدد ١٩ منها .. كما أن هناك صلة تكميلية أيضاً تربطه بالكتيب رقم ٢٤ من السلسلة ذاتها ، وهو كتيب (خولة بنت الأزور) ، وذلك لأن ضرار بن الأزور ، هو والد أرطاة بن سهية .. وهذا موضوع سيرد الكلام عنه مفصلاً في هذه الرسالة ..

أما خولة .. فهي منسوبة الى ضرار ، على نحو ما ، كما نرى من اسمها .. وان لم تكن في واقع الأمر كذلك ..

أي ان أرطاة نسب الى أمه ولم ينسب الى أبيه ضرار ، وان خولة نسبت الى الأزور .. ولا يبدو ان الأمر كذلك ..

اذن فالكتيبات الثلاثة تتناول حديث هذه المواضيع باستفاضة ، ولذلك أجدني مضطراً أن أنصح قارئ هذا الكتيب ،

أن يقرأ الكتيبين السابقين ، ليستكمل أطراف البحث .. وحري
به أن يجمع الكتيبات الثلاثة في جلد واحد ..

وإذا كان هناك فريق من القراء ، قد أمضهم أن يخسر
تاريخنا الحقيقي شخصية بطولية هي شخصية (خولة بنت
الأزور) ، التي أحاطها الكتاب المعاصرون بهالة كبيرة من الاعجاب
.. فاني أود أن أهدي الى هؤلاء هذا الكتيب .. فان ضراراً ان
خسر أختاً وهمية هي خولة ، فقد أعاد هذا الكتيب الى تاريخه
ابناً بطلاً شاعراً هو أرطاة ..

ان ضرار بن الأزور ، هو الوالد الحقيقي لأرطاة بن سهية ،
ذلك الشاعر الفحل ، الذي طوى النسيان اسمه .. وذهبت الأيام
بديوانه فلم يعرف له مقرر .. ولم يصل إلينا من شعره الا
القليل المتناثر في بطون الكتب .. بيت هنا وأبيات هناك ..

وكان أرطاة كانت بينه وبين الأيام ثارات (★) .. فقد تاه
عن والده .. أو فقد حنانه .. وابتعد منذ مولده عن بلاده
وعشيرته .. لينشأ في بلاد أخرى ، وبين عشيرة غير عشيرته .. وان
يترتب على ذلك أن لا يعرف إلا بأمه .. وان لا ينسب إلا إليها ،
فالتصق اسمه بها مدى الحياة ، وعبر به التاريخ الطويل ،
فلم يعرف إلا بأرطاة بن سهية ..

(★) من العجيب أيضاً أن لا ترد ترجمة أرطاة في كتاب (الاعلام) للزركلي
على سعته وشموله !

وليت الأمر وقف عند هذا الحد .. بل لقد تجاوزه .. حينما عزته بعض كتب التاريخ بل كلها تقريباً الى أب غير أبيه .. هو زفر بن عبد الله وهو الرجل الذي 'ولد أرطاة في فراشه ، ونشأ في حضنه الى جوار والدته سهية ..

وكان أعجب العجب أن تذكر بعض المصادر قصة محاولة ضرار ضم ابنه أرطاة اليه ، ثم تأتي بعد ذلك مباشرة ، أو قبله مباشرة بترجمته أو بنسبه معزواً الى زفر .. ساردة النسب الى ما شاء الله من آباء وأجداد .. هم آباء زفر وأجداده .. بينما لا صلة تمت أرطاة بكل هؤلاء الآباء والأجداد الذين يردون في نسبه ..

ومع هذه الغربة التي ظلمت حياة أرطاة وذهبت به بعيداً عن داره وأبيه وذوى قرابته وقومه .. وكانت لها انعكاساتها - بلا ريب - على حياة الشاعر المرهف .. كما يظهر ذلك لعين الباحث الفاحصة ، حينما تتأمل مجريات أحداثه وأخباره ..

مع ذلك .. حاربت الأيام شعر أرطاة .. فذهبت به .. فلم يبق منه الا القليل .. وان دلّ هذا القليل ، على فحولة الشاعر ، وقوة أدائه ..

واذا كانت عملية تصحيح ترجمة حياة هذا الشاعر ، وارجاعه الى نسبه الصحيح ، وضمه الى أبيه ولو على مثل هذه السطور - عملية يسع الباحث أن يضطلع بها ، كما يسعه أن

ينقد الأخبار والأحداث وأن يمحّص الصحيح من الزائف .. اذا كانت هذه العملية ممكنة حقاً .. فان القيام بمحاولة ارجاع ذلك الشعر الذى ضاع مع الزمن ، عملية مستحيلة أو تكاد ، اللهم الا بذل الطاقة لضم شتات ما احتفظت به كتب الأدب والتاريخ واللغة .. وجمع هذا الشتات بعضه الى بعض لصنع ديوان الشاعر .. أو ما يمكن أن يسمى تجوزاً بديوانه .. وما هو بديوانه .. ولكنه جذافات من ديوانه .. وننف من شعره ..

وحينما اجتذبتنى شخصية أرطاة ، بعد أن ساقتها اليّ ظروف البحث فى حياة أبيه الحقيقي ضرار .. طرأ لى أن أجمع شتات شعره ، بعد أن جمعت شتات أخباره .. ونسقت من هذه الأخبار صفحات يصح أن يطلق عليها ترجمة حياة ..

ولكنى لم ألبث أن صرفت النفس عن موالاة جمع شعره ، بعد أن عرفت أن هناك فى العالم العربي الفسيح أكثر من باحث 'يعنى بهذه المهمة .. فوجدت أن مثل هؤلاء الباحثين المتفرغين أولى بها منى ، وأحرى أن يضطلعوا بها على الوجه المنشود .. ولعلنى اطلع مع القراء ، قريباً على ثمار هذه الجهود ، التى أتمنى مخلصاً أن تتكلل بالنجاح (★) ..

(★) حينما كان هذا الكتيب معداً للطبع اطلعت فى مجلة المورد العراقية المجلد السابع ، العدد الأول ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م على ما اضطلع به الأستاذ الباحث صالح محمد خلف من جمع شعر أرطاة وتحقيقه ، وهو عمل جيد .

أما ما كتبتَه عن ترجمة حياة أرطاة .. وما استطلعت أن
أتوصل اليه من ملامح هذه الحياة .. أو ما استنبطته من أحداثها
.. فهو ما أقدمه للقراء اليوم ..

وإذا كان أرطاة قد 'نسب' الى أمه .. و'عرف' بهذه
النسبة وحدها في حياته وبعد حياته ، فإن ذلك لا يعد انتقاصاً
في سيرته .. أو القاء شبهة ما على هذه السيرة .. فإن العرب كانت
تفعل ذلك لأكثر من سبب .. ويدخل من بين هذه الأسباب
الافتخار .. فقد تنسب القبيلة الى أم تميزت ببطولتها أو
بحكمتها وينسحب النسب على العشيرة كلها .. كما هو الشأن في
« بجيلة » ، حيث انتسبت القبيلة كلها الى هذه الأم . وهناك
فريق من الشعراء نسبوا الى أمهاتهم لأسباب مختلفة ، منهم
معاصر أرطاة نفسه ومهاجيه شبيب ابن البرصاء ، فالبرصاء
أمه (★) .. ويحتفظ تراثنا الزاخر بأكثر من كتاب و'ضع في
هذا الباب الطريف .. ومن ذلك رسالة أبي جعفر محمد بن حبيب
التي بعنوان (ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه) .. عنى
باخراجها الأستاذ عبد السلام هارون في (نواذر المخطوطات) .

والمصدر الرئيسي لحياة أرطاة بن سهية .. أعنى أرطاة بن
ضرار بن الأزور ، انما هو كتاب (الأغاني) لأبي الفرج

(★) وأبوه يزيد بن جمرة من بنى مرة . ولم يترجم له صاحب (الاعلام) .

الاصفهانى .. وهو أيضاً - المصدر الرئيسى لقدر كبير من شعره .. فقد عقد لآخباره باباً خاصاً ..

وفيما عدا كتاب (الأغاني) ، لا يكاد يجد الباحث كبير فناء .. اللهم الا نتفأ يسيرة .. اذا استثنينا - طبعا - المصادر التى اعتمدت على (الأغاني) أو اعتمد صاحب الأغاني عليها ، أو أخذت عنه ، أو عمن أخذ عنه .. أي ان كتاب (الأغاني) يعد أجمع لأخبار أرطاة من غيره .. بيد ان الباحث لا يستغنى عن الاطلاع على جميع المصادر أو المراجع التى يمكن أن يلتقط منها فائدة ما .. أو يعتقد أنها مظنة فائدة .. مهما تكن صغيرة أو يسيرة ، وبهذا الحافز رجعت الى عدد وفير من المصادر والمراجع ، بغية العثور على خبر جديد ، أو بيت شعر ، أو لمحة بارقة من استنباط سديد .. ومن أجل ذلك تريت فى اخراج هذا الكتيب ، فقد كانت أصوله الأولى محاضرة ألقى فى (عنيزة) فى شتاء عام ١٣٩٤ هـ ثم مضيت أنقح تلك الأصول ، وأعيد كتابة فصولها وأراجعها وأزيد عليها كلما سنحت لى فرصة حتى استوت على هذا النحو المتواضع الذى أقدمه للقراء اليوم ، سائلا الله عز وجل التوفيق والسداد ٥

عبد العزيز أحمد الرفاعى

الرياض ١٣٩٨/٦/٧ هـ

حیاتِ ..

نسبه

من هي أمه ؟

ما دام هذا الشاعر قد نسب الى أمه .. فلننظر
أولا من هي أمه هذه ؟

هي 'سهية - على وزن 'سميئة' (١) ، بنت زامل
ابن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خديج بن أبي
جشم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف ..

وهذا النسب ينتهى كما نرى الى عوف بن عامر
.. وهؤلاء بطن من عامر بن صعصعة من
العدنانية (٢) .

أي ان بنى عوف هم أحوال الشاعر ..
اننا نعرف من قصة حياته ، ان سهية أمه ، كانت

(١) تاج العروس مادة (سها) .. وفيه زایل بالباء الموحدة بدلا عن زامل بالميم .

(٢) وهم بنو عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان . راجع معجم قبائل العرب/عمر رضا كحالة .

سبية من كلب (١)، وكانت لدى ضرار بن الأزور (٢)، ثم صارت الى زفر بن عبدالله (٣)، وهي حامل، فولدت ابنها ارطاة على فراش زفر . وقد عنيت به ، حتى أخذ مأخذ الرجال ، وأصبح شخصية مرموقة ، ذات مكانة بارزة في بني مرة ، قوم ربيبه . لذلك فلا عجب ان نسب الى أمه ، وعرف بها طيلة حياته ، وان لم يعد من يعيّر به (٤) .

(١) الاغانى : وقد مر بنا نسبها وليس فيه كلب .. ولعله يتصل بـ كلب .. فخذ من عبد الله بن غطفان من العدنانية .

(٢) كتاب ضرار بن الأزور ، من سلسلة المكتبة الصغيرة ص ١٣ وما بعدها و ص ٦٦ .

(٣) الاغانى : ترجمة ارطاة ، وبقية نسب زفر فيه : ابن مالك بن شداد ابن غطفان بن أبى حارثة ، بن مرة بن نشبة بن غيظ ، بن مرة بن سعد بن ذبيان .

(٤) الاغانى : ترجمة ارطاة ، حيث قال : شبيب بن البرصاء : وددت انى جمعنى وابن الامة ارطاة بن سهية يوم قتال فاشقى منه غيظى ! وقال أيضاً ، حينما هاجى رجلا من غني ، أو من باهلة ، فتدخل بينهما ارطاة ، يعين الغنوي :

لعمري لئن كانت سـهية أوضعت
يارطاة في ركب الخيـانة والغـدر
فما كان بالطرف العتيق فيشـترى
لفحلتـه ، ولا الجـواد اذا يجـرى
اتنصر منى معشـرا لست منهم
وقد كنت أولى بالخيـاطة والنصـر

تراجع الاغانى ترجمة شبيب بن البرصاء .
وبالرغم من أن سهية سبية حقاً ولكنها ذات ازومة عربية أصيلة كما مرّ من نسبها .

ونعلم من قصة حياة ارطاة ، انه كان شديد الحذب على والدته ، معترفاً بجميلها العظيم عليه ، وكان شديد الرعاية لها ، يغضب ، كل الغضب ، اذا أهينت ، كما سيرد ذلك مفصلاً في تاريخ حياته .

اذن ، لم يكن ارطاة ابناً لزفر .. وبالتالي فليس من بنى مرة .. وانما هو ابن لضرار وهو ضرار بن الأزور .. والأزور ، لقب أبيه واسمه مالك بن أوس .. وبقيّة نسب أوس هو : ابن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي (١) .

ومعنى هذا ان ضراراً من بنى أسد ، القبيلة التي كانت مشهورة في العهد الجاهلي ، وهي قبيلة عدنانية ، منازلها في نجد بنواحي القصيم الى عالية نجد ، مجاورة لقبيلة طيء .. ممتدة الى أطراف من ديارها .

(١) كتاب (ضرار بن الأزور) العدد ١٩ من هذه السلسلة .

وتبدأ قصة حياة ارطاة ، منذ أن 'أخذت أمه
('سهيّة) سبية لضرار بن الأزور (رضى الله عنه)
.. وكان ذلك فى جاهلية ضرار .. ثم صارت سهيّة
من بعد ، وهى حامل ، الى زفر بن عبد الله . ولا
تذكر المصادر شيئاً عن قصة انتقال سهيّة من
ضرار ، الى زفر .. ولكننا نعلم أنها وضعت ابنها
ارطاة .. على فراش زفر بن عبد الله .. ونشأ فى
حضنه .. وهناك ترعرع .. وأصبح غلاماً يافعاً .

وأحسّ ضرار بحنينه الى ابنه .. وشعر بأنه
يجب أن يعمل شيئاً لاسترداده .. ولكيما يشب
بين قومه من بنى أسد .. ورأى ان يلجأ فى هذا
الأمر الى كبير من بنى مرة هو الحارث بن عوف ،
مستثيراً مروءته برجز ، يمتدحه فيه ، ويؤكد له
انه يعرف أن ارطاة ابنه .. حقيقة واضحة ..
كما هو القمر حقيقة كونية كبرى واضحة ..
ويقول ؛ ان من العار ان يحجد أبوته له .. وهو
ان فعل ذلك ، فهو شيخ سوء :

يا حار .. اطلق لى 'بني' . من زفر (١)
كبعض من تطلق من أسرى مضر
أعرفه منى .. كعرفان القمر
ان أباه شيخ شقر .. ان كفر (٢)

ونرجح ان ضراراً ، انما يادر بطلب الحصول
على ابنه بعد وفاة زفر بن عبد الله (٣) وهذا يتسق
ومنطق الأحداث عادة ، فان من الطبيعي أن يمتنع
زفر في حياته ، عن تسليم ارطاة مراعاة لأئمة
سهية ، التي تتمسك بطبيعة الحال بابنها كل
التمسك (٤) .

(١) يا حار .. ترخيم المقصود به يا حارث .. أي بعذف الثاء والقصة في
الأغاني ترجمة أرطاة بن سهية . وهي أيضاً في ترجمته في الاصابة نقلا عن
المرزبانى ، مع اختلاف في نص الابيات وقد اخترت نص الاصابة .

(٢) أي ان أباه شيخ سوء ان كذب .

(٣) الاصابة ترجمة أرطاة .

(٤) أقول بذلك ، مع ان نص الرجز في البيت الأول يقول : اطلق لى
بني من زفر ، وكان زفر حي .. ولكنني أميل الى أن المقصود : قوم زفر ،
والنص في الاصابة يعين على ذلك : (فلما مات زفر وشب أرطاة .. الخ) ،
أما الخبر في الأغاني فيقول : ان نهشل بن حري بن غطفان أدرك ضراراً
وانتزع أرطاة منه ورده الى زفر ..

وقد استجاب (الحارث بن عوف) لرجاء ضرار .. وكأنه أدرك أن ضراراً أولى بابنه .. وأجدر أن يشب بين ظهрани قوم أبيه .. فأعطاه اياه قائلاً : انطلق بابنك .. وقد قفل ضرار فعلاً بابنه ، بعد أن أردفه خلفه على دابته .. ولكنه لم يكد يفعل حتى أدركه أقرم (افرم) بن عقصان (١) عم أبي زفر ، وتهدد ضراراً قائلاً : القه .. والا انتزيتكما بالسيف .. فترك ضرار ابنه مرغماً .. ويبدو أنه لم يعد من بعد ، يفكر بالمطالبة به .. فنشأ أرطاة ، وهو لا 'يعرف الا بأرطاة بن سهية .. واندمج في قوم زفر ، حتى 'عدّ مرياً ، أو عوفياً ..

وضبط (أرطاة) بفتح الهمزة الأولى والثانية ، وسكون الراء وفتح الطاء .

والارطاة : نبتة صحراوية تنبت في الرمل ..

(١) الخبر عن الاصابة ترجمة أرطاة . ولكن صاحب (الآغانى) يقول : فادرکه نهشل بن حري بن غطفان فانتزعه منه ورده الى زفر .

وجمعها : الأرطى (١) والعرب تطلق بعض أسماء
نباتاتها الصحراوية على مواليدها من أمثال :
أرطاة .. وحنظلة .. وقتادة ..



(١) تاج العروس ، مادة : أرط . وقد جاء فيه ، انه شبيه بالغضى ينبت
عصياً من أصل واحد ، يطول قدر قامة ، وورقه هذب ، ونوره كنور الخلاق ،
غير انه اصغر منه ، واللون واحد ، ورائحته طيبة ، ومنبته الرمل .. وثمره
كالعناب ، مرة ياكلها الأبل غضة . وعروقه حمر ، شديدة الحمرة . وأنشد
لأعرابي ، وقد مرض بالشام :

الا أيها المكاء مالك ها هنا الاء .. ولا أرطى فإين تبيض ؟

فاصعد الى أرض المكاكي واجتنب قرى الشام..لا تصبح وانت مريض!

وبه سمي الرجل أرطاة وكنى أبا أرطاة ..

وجاء فى الموسوعة فى علوم الطبيعة : أرطاة : جنبه فرعاء ، برية
وزراعية تزيينة من فصيلة اللوغانيات ، ازهارها نوري التجميع ، زهرتها
تشبه زهرة الياسمين وهي صفراء اللون ، مستحبة العرف .

م-٢ أرطاة بن سهية

سيرته

لا يعرف تاريخ مولد ارطاة ..

ولكن ورد في بعض أخباره ، انه دخل على عبد الملك بن مروان ، وقد أتت عليه مائة وثلاثون سنة (١) .

ولكن هذا الخبر لا يبدو معقولا .. ذلك لأنه يقتضى أن يكون والده (ضرار بن الأزور) ، قد ولد قبل ذلك بنحو خمسة عشر سنة على الأقل .. ومعنى هذا أن يكون ضرار في حروب الردة التي 'يعد من أبطالها في حوالى الثمانين من عمره .. ومثل هذه السنّ العالية قد لا تمكّن صاحبها من القتال .. على النحو الذى تهياً لضرار رضي الله عنه ، في حروب الردة مع خالد بن الوليد ، بل وفي فتوح

(١) الاصابة : ترجمة ارطاة بن سهية ، واخبر فيه مروى عن هشام بن الكلبي ؛ قال : أخبرنا معمر بن جعفر مولى أبى هريرة ؛ قال : دخل ارطاة .. الخ .

العراق والشام بعدها على النحو المعروف في تاريخ
ضرار ..

اذن فهناك مبالغة في حقيقة عمر أرطاة حينما
دخل على عبد الملك .

واذا ذهبنا نستعرض نص دخوله على عبد الملك
في كتاب (الأغاني)(١) ، لا نجدده يحدد عمره
حينذاك ، ولكنه يكتفى بالقول : انه قد أسنّ ..
يقول النص :

« دخل أرطاة على عبد الملك بن مروان وقد
أسنّ فقال له : كيف حالك يا أرطاة ؟ قال
ضعفت أوصالي ، وضاع مالي ، وقلّ منى ما كنت
أحب كثرته ، وكثر منى ما كنت أحب قلته ...!) .

على ان هذا الخبر سيأتى كاملا ان شاء الله في
موضعه وانما سقت هذه الفقرة منه الآن : دليلا

(١) الأغاني : ترجمة أرطاة .

على ان أبا الفرج في الأغاني ، لم يحدد عمره حين وفادته تلك على عبد الملك .

أما وفاته ، فنجد بعض المصادر تحددتها بسنة ست وثمانين للهجرة (٧٠٥ م) (١) ، كما يقول بعضها انه بقي الى زمن سليمان بن عبد الملك أو بعده (٢) ..

وعلى أية حال ، فكل ذلك يدل على انه قد 'عمر' طويلا لأن سليمان بن عبد الملك قد توفي سنة ٩٩ هـ

كان أرطاة يكنى أبا الوليد .. فهو يقول :
رأيت المرء تأكله الليالي
كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبقى المنية حين تأتي
على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم انها ستكرر حتى
توفي نذرها بأبي الوليد (٣)

(١) الوافي بالوفيات ج ٨ ص ٢٤٨ ترجمة ابن سبهية رقم ٣٧٨٣ يذكر ذلك نقلا عن سبط ابن الخوزي .
(٢) سمط اللآلئ ص ٢٩٩ المجلد الأول .
(٣) الأغاني : ترجمة أرطاة .

ولكننا لا نجد في أخباره شيئاً عن ابنه الوليد ان
كان له ابن يحمل هذا الاسم ..

كما نعرف من نصوص شعره ، ان له قصيدة
رثاء في ابن له يسمى عمراً .. توفي وهو طفل ،
وجزع لوفاته جزعاً كبيراً (١) .

ونعرف من هذا الخبر ان أم الطفل تدعى سلمى
.. يقول الخبر :

« كان لأرطاة بن سهية ابن يقال له عمرو ..
فمات فجزع عليه أرطاة ، حتى كاد عقله يذهب ،
فأقام على قبره ، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولا
.. ثم ان الحي أراد الرحيل بعد حول لنجعة (٢) ففدا
على قبره فجلس عنده ، حتى اذا حان الرواح ناداه :
رح يا ابن سلمى معنا .. فقال له قومه : ننشدك الله
في نفسك وعقلك ودينك .. كيف يروح معك من

(١) الأغاني : ترجمة أرطاة .

(٢) اي انهم قصدوا الانتقال الى مكان آخر به خصب .

مات 'مذ حول'؟! فقال : انظروني الليلة الى الغد .. فأقاموا عليه .. فلما أصبح ناداه : 'أغد' يا ابن سلمى معنا .. فلم يزل الناس يذكرونه الله ، ويناشدونه .. فانتضى سيفه .. وعقر راحلته على قبره .. وقال : والله لا أتبعكم فامضوا حيث شئتم أو اقيموا .. فرقّوا له ورحموه فأقاموا عامهم ذلك ، وصبروا على منزلهم ، وقال أرطاة يومئذ في ابنه

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكن
وقوفي عليه غير مبكى ومجزع
هل انت .. ابن سلمى ان نظرتك رائح
مع الركب أو غاد غداة غد معي؟ (١)

(١) لا يفوتنا هنا أن نلتفت الى هذا النداء المكرر الذي يخاطب فيه أرطاة ابنه فيقول : ابن سلمى .. ينسبه الى أمه .. تماماً كما هو ابن سهية ولعل عقله الباطن يريد أن يلتمس من ذلك تبريراً خفياً في نسبته تلك ..

موطنه

نستطيع أن نستنتج من شعر أرطاة ، ان منازلها كانت قريبة من منازل طيء ، أو في المنطقة الواقعة بين تيماء وجبلي طيء .. فقد ذكر ثنية (لفل) ، وأشار انها مشرفة على منازلها ، وهذه الثنية تقع بين تيماء وجبلي طيء ..

فقد ورد في أخباره ، انه أتى الشام زائراً لعبد الملك بن مروان ، عام الجماعة ، وهناك بالظفر ومدحه ، وأطال المقام عنده ، فأرجف أعداؤه بموته ، فلما رجع ، بعد أن امتلأت يداها بالأعطيات ، بلغه ما كان منهم فقال فيهم :

إذا ما طلعتنا من ثنية لفل

فغبر رجالا يكرهون إياي :

وخبرهم اني رجعت بغبطة

أحدد أظفاري ، ويصرف نابي

وانى ابن حرب لا تزال تهرنى

كلاب عدوى أو تهرّ كلابي (١)

ولكن أرطاة لم يكن يستقر فى منزل واحد من
دياره .. بل كان مع قومه ينتجعون الكلا من مكان
الى آخر .. يدل على ذلك خبره عند قبر وليده
عمرو ، فقد أراد قومه أن يتحولوا من منزلهم ذلك
الى آخر مخصب .. ولكن أرطاة أبى أن يتحول ..
واضطر قومه الى الصبر على محلهم الممحل الى
حول ..

كما انه يذكر جبل رمّان ، وانه نزله مجاوراً
لحبيبته (وجزة) التى جاورت قصر العذيب .. حيث
قضى أياماً سعيدة :

ومن عجب الأيام أن كلّ منزل

لوجزة من أكناف رمان دارس'

(١) الاغانى : ترجمته ، وينبغى أن يلاحظ انه توجد تيماء اخرى غير
تيماء المشهورة (تيماء السموال) ربما كانت هي المقصودة ، وانها المجاورة
لجبل لفل .

وقد جاورت قصر العذيب فما يرى

برمان ، الا ساخط العيش بائس

... لقد طال ما عشنا جميعاً وودنا

جميع ، اذا ما يبتغى الانس أنس(١)

وجبل رمان الذى يتحدث عنه الشاعر جبل
معروف بهذا الاسم الى اليوم ، يقع فى عالية نجد ،
وجهته الشمالية الغربية فى أرض طيء(٢) ولا بد

(١) الأغاني : ترجمته .

(٢) ص ١٥٧ و ١٥٨ من ج ٥ من صحيح الاخبار لابن بليهد ، الطبعة
الثانية . وقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان رمان ، فقال انه بفتح أوله
وتشديد ثانيه ، وهو فعلان من رمنت الشيء أرّمه وإرّمه وما ومَرَمَ ، اذا
أصلحته ، وهو جبل فى بلاد طيء فى غربى سلمى أحد جبل طيء ، واليه انتهى
فلّ الردة يوم بزاخة ، فتصدهم خالد بن الوليد ، رضى الله عنه ، فرجعوا
الى الاسلام ، وهو جبل فى رمل وهو ماسدة . قال الأسدى :

أجدى لا أمسى برمان خالياً وغضور الا قيل أين تريد ؟
وقال طفيل الغنوي :

ومن قيس الثاوى برمان بيته
وقد أورد ابن بليهد فى صحيح الاخبار ، قول ياقوت ، ثم قال رمان جبل
معروف فى عالية نجد الشمالية يشترك فيه قبيلتان عظيمتان فى الجاهلية
هما قبيلة طيء ، وقبيلة بنى أسد ، وأما الجهة التى تختص بها بنو أسد
فهي الجنوبية منه ، والقرى المحيطة بتلك الجهة وهي (الروضة) و (المستجدة)
وهذه الجهة هي التى تلى بلد (سمراء) عاصمة بنى أسد . انظر ياقوت حينما
قال : واليه انتهى فلّ أهل الردة يوم بزاخة ، وهم بنو أسد ، فلولاً ان هذا
الجبل لهم لما قصدوه ، وأما الجهة الثانية التى تملكها طيء فهي جهته الشمالية
الغربية المجاورة لمنهل (سقف) ومنهل (غضور) .

أن قصر العذيب في المنطقة نفسها ، وليس المقصود
هنا قصر العذيب الذي بالكوفة الذي أشرف منه
سعد بن أبي وقاص في حرب القادسية على سير
المعركة .. فشتان ما بين الموضعين ..

ونستطيع أن نستنتج أن الشاعر كان يسكن في
منطقة قريبة من مدينة حائل اليوم ، ولكنه كان
يتنقل مع قومه طلباً للكلأ في مناطق قبيلته ، أو
مناطق القبائل الحليفة كما هي عادة القبائل العربية
التي تعيش على الرعي .

وتدل سيرة أرطاة ، انه لم يفارق دياره الى
الحواضر يسكنها .. بل لقد كان شديد الارتباط
بموطنه لا يكاد يغادره الا الحاجة .. حيث يتردد على
الشام مادحاً لمعاوية بن أبي سفيان ، أو لعبد الملك
ابن مروان .. حقاً انه قد يطيل المكث بالشام ،
ولكنه لا يلبث أن يعود الى موطنه .. كما مر بنا في
القصة السالفة حيث طالت اقامته حتى أرجف
أعداؤه بموته ..

ويبدو أنه كان اذا قدم دمشق ، ينزل (دير
الماطرون) - بكسر الطاء - وهو موضع قرب
دمشق ، حيث يقول :

أرقت بدير الماطرون كأنني
لسارى النجوم آخر الليل حارس'

وأعرضت الشعرى العبور كأنها
معلق قنديل عليها ، الكنائس

ولاح سهيل عن يميني كأنه
شهاب نحاه ، وجهة الريح - قابس(١)

ونستشف من هذه الأبيات ، انه لم تكن تطيب له
الاقامة في غير دياره ..

وكما كان أرطاة شديد الارتباط بدياره ..
ومنازله في البادية .. فقد كان أيضاً شديد الانتماء

(١) النص في معجم البلدان ؛ مادة (دير الماطرون) وقد ورد فيه في البيت
الثالث (نجا) بالجيم والتاء ، والصحيح الذى تقتضيه الصورة هو ما أثبتته
(نحاه) بالحاء والهاء .

وسهيل والشعرى نجمان ، ونحاه بمعنى وجهه ، والقابس الذى يطلب
النار أو الضوء . والأبيات تذكر بقول أبيه ضار :

أرقت ببانقيا ، ومن يلق مثلما لقيت ببانقيا من العرب يارق

الى قومه من بنى مرة .. على الرغم مما ذكرته عن
انتسابه أصلا الى بنى أسد ولكنه لم يكن يذكر
انتسابه هذا الا في حالات نادرة ..

فقد غضب حينما عيره بعض بنى مرة بأنه دخيل
فيهم وانه ابن الأزور .. فقال لهم :

فاذا خـمـصـتم قـلـتم : يا عـمـنـا

واذا بطنـتم قـلـتم : ابن الأزور ..

بل لقد كان أرطاة على العكس ، شديد الاعتزاز
بانتماؤه الى بنى مرة .. وهو يفخر بذلك ، كلما
أتيحت له مناسبة .. بل قد يغلو في الانتساب
والافتخار والاعتزاز .. في بعض أشعاره .. حتى
ليحسبه قارئه أنه ممعن في انتسابه في آل مرة ..
يضرب في ساداتهم بيده .. بل برجله .. ثابتة فيهم
عروقه كما تتسرب عروق النبتة الصحراوية التي
تغور في الأعماق فلنسمعه يقول :

أنا ابن عـقـفـان مـعـروف له نسبى

الا بما شاركت أم على ولد

... أنا ابن صرمة ان تسأل خيـارهم

أضرب برجـلي في ساداتهم ويدي

وفي بني مـالك أم وزافـرة

لا يدفع المجد من قيس الى أحد

ضربت فيهم بأعراقـي كما ضربت

عروق ناعمة في أبـطـح ثـد

جدي قضاة معروف ويعرفني

جار فيدة أهل السـرو والعدـد(١)

ولكن عقدة النسب تظل تطارد أرطاة على
نحو ما .. فهذه مهاجاته مع شبيب بن البرصاء ،
تدور على محور رئيسي ؛ هو رغبة كل واحد من
الشاعرين أن ينفي صاحبه من عشيرته .. ونحن
نلاحظ أن شبيباً ، أيضاً ، انما ينسب الى أمه ..
تماماً كأرطاة .. ويتجلى لمن يتتبع هذه المهاجاة ؛ ان
أرطاة يتقمص الأصالة في قومه .. فيعير (شبيباً)
قائلاً :

(١) الأغاني : ترجمة أرطاة .

ألا مبلغ فتیان قـومي بأننى
 هجانى ابن برصاء الیدین ، شبيب'
 وفى آل عوف ، من يهود قبيلة
 تشابه منها ناشئون وشيب
 أبى كان خيراً من أبيك ولم يزل
 جنيباً لأبائى وأنت جنيب
 وما زلت خيراً منك
 (١).....

... فلو كنت عوفياً عَمِيت واسهلت
 كذاك ، ولكن المريب .. مريب.. (٢)

وفى البيت الأخير من هذه القطعة ، يجعل
 (أرطاة) العمى أماراة على بنى عوف ، وأن المفروض
 فى أي عوفى ، أن يصاب بالعمى ، متى تقدمت به
 السن مادام عوفياً أصيلاً .. أما اذا لم يصب به فهو

(١) حذفت بقية البيت لما فيه من فحش كذلك بيتين تاليين .

(٢) الأغانى : ترجمة أرطاة .

مغموز النسب ، ويعدّ ذلك مطعناً في أصلته ..
وعيباً 'يعيّر به ..

يروى الاصفهاني ، بعد ايراده الأبيات السابقة
انه لما قال أرطاة هذا الشعر في شبيب بن البرصاء
كان كل شيخ من بني عوف ، يتمنى أن يعمى ،
وكان العمى شائعاً في بني عوف ، كلما أسنّ منهم
رجل عمي ، وان أرطاة 'عمرّ ولم يعم ، فكان شبيب
يعيره بذلك ، ثم مات أرطاة وعمي شبيب ، فكان
يقول بعد ذلك ليت أرطاة عاش حتى يرانى أعمى ،
فيعلم انى عوفي (١) .

واذا صح اطراد هذه القاعدة .. فان عدم اصابة
(أرطاة) بالعمى رغم طعنه في السنّ ، لدليل جديد
على انه ليس عوفياً حقاً ..

(١) الأغاني : ترجمة أرطاة ، وقد عقب مصحح الكتاب ، وهو الشيخ
(أحمد الشنقيطي) في طبعته ، عند قوله فعمر أرطاة ولم يعم . بأن المناسب
(فتمر شبيب ولم يعم ، فكان أرطاة ..) الخ ولكنى أرى ان السياق
صحيح.. وان الذى 'عمرّ أرطاة .. وأحسب أن شبيباً كان أصغر منه سنّاً ، فلما
تقدمت به السن ، بعد موت أرطاة عمي ، اطراداً مع القاعدة ، وقد جاء الخبر
في صيغة أخرى أيضاً في ترجمة شبيب بن البرصاء في الاغانى .

وأذكر ، بمناسبة إيراد هذه الأبيات ، ان
(أرطاة) دخل مرة على (عبد الملك بن مروان) ،
فاستنشده شيئاً من أشعاره ، مما كان يناقض به
شبيب بن البرصاء ، فلما أنشده :

أبى كان خيراً من أبيك ولم تزل
جنيباً لآبائي ، وأنت جنيب

فقال له عبد الملك : كذبت . شبيب خير منك
أباً (١) ..

فلما أنشده :

وما زلت خيراً منك .. الخ

قال له عبد الملك : صدقت . أنت في نفسك خير
من شبيب .

(١) أورد الخبر صاحب الأغاني أيضاً في ترجمة شبيب بن البرصاء ،
ثم عقب على قول عبد الملك بقوله : وكان أرطاة أفضل من شبيب نفساً ..
وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتاً (ولم يقل آبا) . وعندى ان هذا يدل على
افتناع أبى الفرج بأبوة ضرار بن الأزور لأرطاة .

يقول صاحب الأغاني : فعجب من حضر من
معرفة عبد الملك مقادير الناس على بعدهم منه في
بواديههم ، وان الأمر كان على ما قال ، كان شبيب
أشرف أباً من (أرطاة) وكان (أرطاة) أشرف
فعلاً ونفساً من شبيب (١) ..

على اننى لا أود أن أترك هذا الخبر على علاته
دون تعليق ، ذلك انه في الوقت الذى أضيف فيه
شهادة الخليفة الأموي الى رصيد أرطاة من الثناء
عليه شخصياً ، الا اننى أقف عند غض عبد الملك من
شأن والد أرطاة .. بل لا أشك ان المقصود بأبيه هنا
انما هو أبوه بالتبني ، أعنى زفر .. أما (ضرار بن
الأزور) رضي الله عنه ، فله من المكانة الرفيعة ،
مجداً وشرفاً وبطولة .. ما يجعله بعيداً عن قصد
الخليفة الأموي .

★ ★ ★

(١) الأغاني : ترجمة أرطاة وهذا النص يفيد أن أرطاة كان يعيش في
البادية ، مصداقاً لما سلفت الإشارة اليه ..

ملاحم من حياته

كان أرطاة يفتخر بقوة شكيمة و قتاله ..
وبكرمه وسخائه .. وبمروءته وعطفه على ذوى
رحمه .. وبحسن وفائه لوالدته التى يكنّ لها الكثير
من التقدير لعنايتها بتربيته واحتضانه وتمسكها
به ..

وجد فى اشعاره صورة رائعة لكرمه .. فهو فى
خدمة ضيوفه حتى ولو قدموا آخر الليل .. تهرّ
كلابه فرحاً باستقبالهم .. يقول أرطاة :

وانى لقوام لدى الضيف ، موهنا
إذا أغدق السترَ البغيل' المواكل'
دعا .. فأجابته كلاب كثيرة
على ثقة منها ، بأنى فاعل ..
وما دون ضيفى من تلاد تحوزه
لى النفس ، الا أن تصان الحلايل(١)

(١) معجم البلدان ، مادة سامراء . وجاء به فى البيت الثالث بلاه بدلا
عن تلاد والصحيح ما أثبتته اذ يقتضيه السياق .

فهو ليس كريماً فحسب ، ولكنه يقوم على خدمة ضيفه حتى لو جاء موهناً .. أي في ساعة متأخرة من الليل ، لا يصدّه عن ضيفه ستر أو حجاب .. كما يحتجب البخلاء خلف الستور .. ومتى طرق ضيفه هرّت اليه كلاب كثيرة ، تدل على يسر صاحبها وكرمه .. على يقين منها أن صاحبها يسرّ عادة باستقبال أضيافه .. حيث لا يدخر عن ضيفه شيئاً مهما غلا .. فكل شيء مباح للضيف الا حلائل النساء ، فحق هؤلاء الصون كل الصون .

وفي شعره أكثر من نص يدل على كرمه .. بل لقد وصفه بذلك صاحب الأغاني ، حينما قال :
كان امرء صدق ، شريفاً في قومه جواداً .. ومن الطبيعي أن لا يشرف بين العرب ، ولا يرتفع ذكره الا الشجاع الجواد ..

ويفخر أرطاة بشجاعته ، فيقول ، مخاطباً شبيب ابن البرصاء الذي تمنى لقاءه :

ان تلقني لا ترى غيري بناظرة
تنس السلاح ، وتعرف جهة الأسد

ماذا أظنك تغنى في أخي رصـد

من أسد خفان ، جابى العين ذي لبد (١)

ويقول أيضاً ، يرد على توعـد زميل بن أبير قاتل
ابن دارة (٢) :

يا زمـل انى ان أكـن لك سائـقا

تركـض برجليـك النـجاءـ وألـحق

لا تحسـبـنـى كامـرىء صادقتـه

بمضـيعة فـخدشـته بالمرفـق

انى امـروء أوفى اذا قارعتـكم

قصب الرهان ، وما أشا أتعرق (٣)

-
- (١) جابى العين ، وجائب العين : شديد النظر (الأغاني) ترجمة أرتاة .
(٢) زميل بن أبير هو قاتل سالم بن دارة ، وسالم هذا اسم أبيه مسافع ،
ودارة انما هي أمه ، مثله مثل أرتاة ، وشبيب . وكان سالم شاعراً هجاء ،
وهو من بنى أسد ، وسميت أمه دارة لجمالها وهو من ولد عبد الله بن غطفان
ابن سعد . وقد هجا ثابت بن رافع الفزاري وقال فيه :
لا تاتمن فزاريا خلوت به
على قلوـصك واكتبها باسيار
فقتله زميل بسبب ذلك وقال :

أنا زميل قاتل بن داره وراحض المخزاة عن فزاره

- (٣) الأغاني : ترجمة أرتاة . ومعنى الأبيات : اننى يا زميل اذا نازلتك
ساجعلك تطلب الفرار ، راجلا غير راكب .. وسألحق بك مهما هربت .. فلا
تحسبنى كابن دارة الذى قتلته صدفة ، بمكان كفر ، فانا امرؤ أنال فى القتال
قصب السبق ، وأغلب اذا صممت على الغلبة ..

وهو يفتخر أيضاً ، بأنه أجلى أقواماً عن أماكنهم :

أجلت أهل البرك عن أوطانهم

والخمس من شعيا وأهل الشرب (١)

ومن أخلاق (أرطاة) انه شديد الأنفة ..
لا يقبل ضيماً ولا بقره .. ولا يقبل وقوعه على
أحد من خاصته أو أهله أو ذوى قرباه ورحمه ..
يشارك رهطه سراءهم وضراءهم .. يفرح لفرحهم ،
ويأسى لمآسيهم ..

حينما خاصمت امرأة من بنى مرة .. حيث
ينزل أرطاة ، بين قوم ربيبه - حينما خاصمت تلك
المرأة أمه سهية ، ولعلها استغلت وضعها لأنها
أخيدة .. وليست من القوم .. وان ابنها ليس منهم
.. فاستطالت عليها وسبتها ، غضب أرطاة .. غضباً
شديداً ، فلم يكتف بسب المرأة .. بل ذهب الى
أبعد من ذلك .. فضربها .. حتى عرّض نفسه للوم

(١) النص من معجم البلدان مادة شربب بضم الشين وسكون الراء ، ثم
باء موحدة مضمومة مكررة : وهو واد فى ديار بنى سليم .

رهطه .. وقالوا له موبخين : مالك تدخل نفسك في
خصومات النساء ؟ فقال مدافعاً عن نفسه ، مظهراً
حميته لأمه ، مؤكداً ان على بنى مرة أن يدركوا
أنه لا يقر ضيماً .. وانه حينما يستفز الشر ، فانه
يلبى دعوته .. وأنه لا يخص بحمايته ، خاصة
أهله ، وانما هو يحمى حمى العشيرة كلها :

يعيرني قومي المجاهل والخنا

عليهم .. وقالوا : أنت غير حليم

هل الجهل فيكم ان أعاقب بعدما

'تجوز سبّي .. واستحل حريمي ؟

إذا أنا لم أمنع عجوزي منكم

فكانت كأخرى ، في النساء ، عقيم

وقد علمت أبناء مرة اننا

إذا ما اجتدانا الشر كل حميم

حماة لأحساب العشيرة كلها

اذ ذم يوم الروع كل ملهم (١)

(١) الاغانى : ترجمة ارطاة .

واذا كان قوم أرطاة .. قد وصفوه بأنه غير
حليم .. فان هذا يستوقفنى قليلا لتقرير حقيقة
تجسدها سيرة أرطاة .. وهي أنه كان عاطفياً شديداً
التأثر .. فهو يغضب بشدة .. كما فى هذه الحادثة
وهو يحزن بشدة ، كما فى حادثة فقدته لابنه الطفل
عمرو .. كما مرّ بنا ..

ونجد (أرطاة) أيضاً يبكى قتلى رهطه يوم
(بنات قين) وهو يوم من أيام العرب المشهورة :

أعاذلتى ألا لا تعذلىنا
أقلّى اللوم ، ان لم تنفعينا
فقد أكثرت .. لو أغنيت شيئاً
ولست بقابل ما تأمرينا ..
فلا وأبيك لا ننفك نبكى
على قتلى هنالك .. ما بقينا (١)

(١) الاغانى : ترجمة أرطاة والبيتان الاولان مما يغنى به من أصوات
(الاغانى) ، وهى مناسبة الترجمة لأرطاة فيه .

أرطاة . . ووجزة

وفي حياة أرطاة بن سهية قصة حب عجيبة ..
تدل على عاطفة جياشة مجنحة .. وفيها وفاء نادر ،
يشفّ عن نفس كريمة .. انها قصته مع حبيبته
(وجزة)(١) وهي فتاة من قبيلة (غني)(٢) ..

كان طلاب الكلا والمرعى يجمع بين قبيلة الشاعر
أو رهطه .. وبين قبيلة حسائه وجزة ، فقد كان
بينهما حلف أو تفاهم .. وجوار في انتجاع الكلا
في بعض الأحيان .

كان هناك الشباب .. ونضرة الربيع في النفس
والأرض .. وكانت دنياهما تبدو مقبلة حلوة ..

(١) بفتح الواو وسكون الجيم ، ويقال رجل وجز أي سريع الحركة ،
وامرأة وجزة .

(٢) غني بن أعصر : بطن من قيس بن عيلان من العدنانية ، مجاورين
لطيء . (معجم قبائل العرب) .

تجمعهما المراعى السندسية ، ويرعى هواهما القمر
السارى .. فكانت لهما هناك لقاءات فى غفلة من
الزمن والرقيب !..

هناك بجانب رَمَّان ، وقصر العذيب ..
ألهمت (وجزة) عاطفة الشاعر الرقيق ، وشحذت
وجدانه .. وأنطقته على ما يبدو بكثير من شعر
الغزل ، فهذا أبو الفرج يصرح بأن أرطاة ذكر
وجزة ونسب بها فى مواضع مع شعره (١) .

ولكن الأيام ، لم تصبر طويلا على هذا الحب ،
الذى نشأ بين الشاعر وملهمته من غنى ، ولا على
هذه السعادة الغامرة تربط بين هذين القلبين ..
فما لبث أن تدخل الواشون بينه وبينها ، ونفس
عليهما صفاءهما النفوس المحشودة بالحسد والحقد
فنجحوا فى أهدافهم .. ووقعت القطيعة بين الشاعر
وحسنائه ، فاذا الود جفاء ، واذا القرب نأى ، واذا

(١) الاغانى : ترجمة أرطاة .

الأنس بها وحشة .. واذا ربيعهما جذب ، واذا
آثارهما عفاء ..

وانطوت الأيام ، وتداركت .. فاذا الشاعر ليس
في يده الا الذكريات .. واذا هو يستجرها ..
ويتحدث بها في شعره !.. !

واذا هو ان مرّ بقرب مواطن الذكرى ، حمل
أصحابه حملاً ، على أن يعوجوا بدار وجزة مهتدياً
الى تلك المواطن بالنجوم ، كما يهتدى الاعرابي
الحذق .. فاذا هم معه يثنون مطيهم عن القصد الى
ما أراد شاعرهم .. مشفقين عليه ، راثين لحاله ..
فقد رأوه لا يهنأ بمشرب ولا مأكلاً ، ولا يأنس
بحديث ..

ولكن .. هذه ديارها بلقع .. ليس الا المجدب
والبؤس ..

وانها الأيام .. وكفى .

هذا أرطاة يحدثنا حديث ذكرياته :

وداوية نازعتها الليل زائراً

لوجزة تهديني النجوم الطوامس (١)

أعوج بأصحابي عن القصد تعلى

بنا ، عرض كسريها المطي العوامس (٢)

فقد تركتني لا أعيج بمشرب

فأروى .. ولا ألهو الى من أجالس (٣)

ومن عجب الأيام أن كل منزل

لوجزة من أكناف رمان دارس (٤)

وقد جاورت قصر العذيب فما يرى

برمان الا ساخط العيش بأس

(١) في اللسان مادة طمس : طموس الكواكب ذهاب ضوئها ، وأورد قول ذي الرمة :

فلا تحسبي شجتي بك اليد كلما
وأحسب المقصود : النجوم الخافتة ، أو البعيدة لأن الطامس في اللسان
أيضا البعيد .

(٢) المطي العوامس التي لا تهتدى الى طريقها ، وأعوج بمعنى انثنى ،
وعرض كسريها : يقصد الداوية . أي الصحراء .

(٣) أعيج : أعيا أو اكترث أو انتفع . جاء في اللسان :
ولم أر شيئا بعد ليل الله ولا مشربا أروى به فاعيج

(٤) سبق ذكر رمان . ودارس : ممحى .

طلاب بعيد .. واختلاف من النوى
إذا ما أتى من دون وجـزة قاس

لئن أنجح الواشون بينى وبينها
وطال التنائى ، والنفوس النفائس

لقد طال ما عشنا جميعاً وودنا
جميع إذا ما يبتغى الأنس أنس

كذلك صرف الدهر ليس بتارك
حييياً ، ويبقى عمره المتقاعس (١)

نعم .. أما أيامها معاً .. فقد تصرمت .. وأما
الزمن ذاته فبقى عمره الطويل المديد متقاعساً ..

ولكن الأيام على جفوتها .. عادت فجمعت بين
الحبيبين فى لقاء عجيب .. بعد أن اهترأ الشباب ،
وذهبت نضرتة .. وبدت قسوة الزمن على ملامح
الحسناء التى كانت .. فقد أصبحت وجزة عجوزاً
هرمة .. ضمت الى كبر السن فقراً وعوزاً ..

(١) المتقاعس : البطيء .

وجلس اليها أرطاة .. يتحدث الى الجمال الآفل
.. ويستعيد الذكريات استعادة الشاعر الذى يوقظ
أطياف الماضى ليناجيها ..

وأدرك الشاعر من خلال حديثها ما أصابها من
فقر وحاجة ، فما انصرف عنها ، حتى ساق اليها
عشرة من ابله عَقَلَهَا بفنائها .. ثم مضى تجيش
نفسه بالكثير من الأحاسيس ، وبالكثير من الشعر :

مررت على حدثى برمان بعدما
تقطع أقران الصبا والوسائل
فكنت كظبي مفلت ثم لم يزل
به الحين حتى أغلقته الحبائل(١)

على انه ، وان لم يصل اليها من حديث ذكرياته
بعد هذا اللقاء الأخير الا هذان البيتان ، فان
فيهما الدلالة الكافية ، على مبلغ ما أثاره هذا اللقاء

(١) أغلقته الحبائل : أي أطبقت عليه الشباك

من مشاعر في نفس الشاعر ، بدا بعده ، وكأنما
قد عاد الى هواه القديم ، أو عاد اليه هواه القديم ..

واننا لنجد تصويراً لواقع حاله في البيت الذي
يقول فيه :

فقلت لها : يا أم بيضاء انه

هريق شاببي .. واستشن أديمي (١)

ونلاحظ أنه في هذا البيت المفرد يخاطب أم بيضاء
التي لا نعلم من أمرها شيئاً ، ولا ندرى أهى هي
وجزة ، أم حسناء أخرى ..

وكم هو جميل هذا التصوير للشباب المهرق ،
والأديم الذي استشن ولحقه القدم !..

★ ★ ★

(١) البيت من سمط اللآلى ص ٢٢٢ .

موقفه من الصراعات السياسية والأدبية :

بالرغم من أن العصر الذى عاش فيه أرطاة كان عصر نزاع سياسى ، تمثّل فى انقسام الرأي الاسلامي العام ، بين الامام علي ، وبين معاوية ، أو بين البيت الأموي ، والبيت العلوي ، ثم بين الأمويين ، وعبد الله بن الزبير ومن شايعه .. وان بعض الشعراء وخاصة المشهورين منهم قد تأثروا بهذه الصراعات السياسية ، واتخذوا مواقفهم الى جانب هؤلاء أو أولئك ، أو تذبذبوا بينهما بحسب المصلحة أو الخوف ..

بالرغم من ذلك ..

وبالرغم من الصراع الأدبي الحاد ، الذى تمثّل أيضاً فى الخصام الشعري الذى نشب بين جرير والفرزدق ، وانقسام لفيف من الشعراء الى جانب هذا أو ذاك .. حتى عرف هذا العهد بعهد المناقضات الشعرية الحامية ، التى انفرد بها تاريخنا الشعري ..

بالرغم من كل ذلك .. فاننا نجد أن شاعرنا لم
يزج بنفسه في هذه الصراعات إطلاقاً ..

ولكن هذا الحكم يظل قائماً فقط في حدود ما وصل
اليها ، حتى الآن من شعر أرطاة .. أقول هذا احتراضاً
.. فقد تكشف الأيام عن ديوان أرطاة أو عن مزيد
من شعره ، يصح أن يتغير به هذا الحكم ، الى النقيض
.. أو على الأقل الى الجرح ..

اننا حينما نستعرض ما وصل اليها من شعر
أرطاة ، وجلّه من كتاب (الأغاني) ، لا نجده قد
تعرض للمشكلة السياسية التي كانت قائمة ، سواء
بوجه سافر صريح ، أو تحت طي الكتمان والخفاء .
صحيح ان أخباره تدل على انه امتدح معاوية ،
ومروان بن الحكم ، وكان يرتاد يحيى بن الحكم ..
وانه امتدح أحد السفاحين ، ثم عاد فغضب منه ،
وهجاه ، حينما حجب عنه أعطيته .. وانه كان
ينتجع مجالس عبد الملك ..

كل ذلك صحيح ، وله شواهد من شعر أرطاة ،
ماثلة للبيان .. ولكننا اذا استعرضنا ما وصل اليها

من هذه المدائح ، لم نجد لها تتعرض البتة الى ذلك الصراع ، أو تميل الى المحاجة في رأي سياسي ، أو تحزّب الى فئة ..

لقد كان أرساة شاعراً من البادية ، يرتاد الخلفاء والأمراء والحكام ، فيمتدحهم ليأخذ من رفقهم وأعطيائهم ، ما تمتلئ به أكوار نياقه ثم يعود الى دياره ، لينفق كما ينفق السادة الأجواد .. ثم لا شيء وراء ذلك .. أي انه لم يكن يحمل رأياً سياسياً معيناً يدافع عنه .. أو يشغل نفسه وشعره به ..

ونعرف من سيرة أرساة .. أنه كان منقطعاً أو شبه منقطع الى امتداح مروان بن الحكم ، وأخيه يحيى .. ولعل هذا الاتصال الوثيق جاء عن طريق يحيى بن الحكم بالذات ، الذي كان مصاهراً لبني مرة (١) ، رهط أرساة ، وكانوا يالفونه وينتجعونه ،

(١) يذكر صاحب الاغانى في ترجمة عقيل بن علفة المري أنه زوج اليه الخلفاء ، وأشراق قريش ، وان يزيد بن عبد الملك تزوج ابنته الجرباء ، كما تزوج ابنته أم عمرو ثلاثة نفر من بني الحكم بن أبي العاص وهم : يحيى ، والحارث ، وخالد ، ومما هو جدير بالذكر هنا ان أم عقيل ، وأم شبيب بن البرصاء كانتا أختين أبوهما الحارث بن عوف المري .
م - ٤ - أرساة بن سهية

وكان أرطاة يفعل ذلك معهم ، وهو يفضلهم بشعره
وبيانه ..

ومن الطبيعي ، والأمر كذلك ، أن تتوثق صلات
أرطاة بمروان .. ونحن نعلم الدور التاريخي الهام
بل الخطير الذي كان لمروان في تثبيت جذور بني
أمية في الحكم ..

ان هذه الصلة المحكمة تجعلنا نتوقع أن يكون
أرطاة قد التزم جانب الأمويين التزاماً شديداً ..
ولكننا نجد ، حتى في أدق المواقف ، انه يظل محتفظاً
بحياديته ..

ولعل أوضح صورة لأدق المواقف التي أعنيها ..
حينما استقر أمر الحكم لمروان بن الحكم - الذي
يلتزمه وأخاه يحيى - بعد أن فرغ من الحروب التي
كان بها متشاغلا ، وصمد لانفاذ الجيوش لابن
الزبير لمحاربته ، فجاء الشاعر ليهنئ (١) ممدوحه ..
وهي مناسبة يقتضى سياقها الانحياز الى جانب
الممدوح .. ولكن أرطاة يتجنب هذا الموقف ببراعة

(١) الأغاني : ترجمة أرطاة .

... ويكتفى بأن يقول لمدوحيه ، انك توليت الأمور
وهي مضطربة فما زلت بها حتى استقامت لك ، ثم
يمضى ليمتدح شجاعته واقدامه :

وسادت معداً على رغمها
قريش ، وسدت قريش غلاما
'جعلت على الأمر فيه صفا'
فما زال غمزك حتى استقاما (١)
لقيت الزحوف فقاتلتها
فجردت فيهن عضباً حساماً
تشق القوانس حتى 'يناً
ل ما تحتها ، ثم تبرى العظاما (٢)
نزعنا على مهل سابقاً
فما زادك النزع الا تماماً
فـزاد لك الله سلطاناً
وزاد لك الخير منه فداما (٣)

-
- (١) صفا : انحراف : غمزك : معالجتك .
(٢) القوانس : جمع قونس : الحديد التي في أعلى الخوذة .
(٢) النص من الاغانى ترجمة أرطاة . والأيات مشروحة في تاريخ الأدب
العربي - الأدب القديم ، للدكتور عمر فروخ .

حقاً ان هناك موقفاً دقيقاً .. هو موقفه عند
وقعة الحرة .

فقد قدم (مسرف بن عقبة المري) المدينة وأوقع
بأهل الحرة .. فجاءه قومه من بنى مرة فهنؤوه
بالظفر ، واسترقدوه ، فطردهم ونهرهم وكان معهم
أرطاة الذى أراد استرفاده .. وقام ليمدحه ..
فتجهّمه بأقبح قول ، وطرده ..

فى هذا الموقف لم ينته الينا النص الذى أعده
لمديح مسرف .. لنرى كيف يتفادى ذكر هذه
الواقعة التى تعتبر جرحاً غائراً فى التاريخ العربى ،
ولكننا اذا طبقنا الخط العام فى مسار حياة أرطاة
الى المدى الذى وصل الينا - نرجح أنه تفادى الخوض
فى غمار الصراع السياسى مكتفياً بالمدح والاطراء
.. على ان الخبر ينقل الينا هجاءه لمسرف ، بعد أن
غضب منه ، دليلاً حياً على ان أرطاة لم يمدح الا
مسترفداً ، ولم يهج الا غاضباً حرداً ..

لحمى الله فـودي مسرف وابن عمه

وأثار نعلي مسرف حيث أثرا

مررت على ربيعهما فكأنني

مررت بجبارين من سرو حميرا (١)

ولعل مما يؤيد صحة هذا الذي أذهب إليه ؛ من أن أرطاة شاعر يلتمس الرزق بشعره ، بغض النظر عن أي موقف سياسي ، فيمتدح من يتوسم فيه الخير ، ينتجعه ، كما ينتجع الكلاً مع قومه في دياره .. اننا نجد له مديحاً في ثابت بن عبد الله بن الزبير .. ونحن نعلم الخصومة المستحكمة بين الأسرة الزبيرية والأموية .. فنعجب كيف يلتزم مروان بن الحكم ، وأخاه يحيى بمدائحه ؟ وكيف يمتدح ثابت بن عبد الله بن الزبير .. صحيح اننا لا نعلم شيئاً عن الظروف التي جعلته يمتدح هذا الأخير ولا متى امتدحه .. ولكننا نخلص من مثل هذا الخبر بما يدعم وجهة نظرنا من أنه يمتدح ممدوحه بغض النظر عن موقفه السياسي .. انه يريد المجازة .. وهي حسبه .. ولا يعنيه أن يدخل

(١) الأغاني : ترجمة أرطاة .

في تلك الصراعات السياسية التي كانت ناشبة في عصره ..

لنر ما يقوله في ثابت بن عبد الله بن الزبير وهل فيه ما ينم عن تحيزه للزبيرين ، أو انه مجرد مديح يستمطر به العطاء :

رأيت مغاضي أنكرت عبدانها
محل أولى الخيمات من بطن أرتدا
إذا راعياها أورداهما شريعة
فما على دمن الحياض وصردا
ولو جارها ابن المازنية ثابت
لروح راعيهما وندا وأوردا (١)

فهو في هذه الأبيات الثلاثة لا يزيد عن امتداح الزبيري بالندى والجود ، وان ناقتة تؤثر النزول الى جواره من أجل ذلك ..

★ ★ ★

(١) تهذيب ابن عساكر ص ٣٦٧ ج ٢ مطبعة روضة الشام ١٣٣٠ هـ .
ويلاحظ قول أرطاة (ابن المازنية) ينسب ثابت بن عبد الله بن الزبير الى أمه ..

شعره ..

شعره

ليس بين يدي وأنا أكتب هذه السطور ، من شعر أرطاة الا نصوص متفرقة في كتاب الأغاني .. وفي بعض مصادر أخرى قليلة أوردت أبياتاً قلائل ، أو شوارد أو شواهد شعرية قد لا تزيد عن البيت أو البيتين (١) .. على أن ما جمعه صاحب الأغاني هو أوفرها حظاً ، وأكثرها تفصيلاً على قلة ما أورد .. بالنسبة لشاعر فحل كأرطاة ..

ولعل فيما أوردت من قبل ، خلال البحث ، من نصوص شعر أرطاة ، ما يكشف عن شاعر أصيل ، يتميز أسلوبه الشعري ، بقوة العارضة الشعرية ، وتمكنها مع جزالة في اللفظ ، ووضوح في المعنى ، وجمال في الأداء ، محتفظاً برواء الشعر الجاهلي وجهارته .

(١) سبق أن أشرت الى عمل الأستاذ صالح محمد خلف .

وقد أدرك النقاد القدامى بعض صورهِ المبدعة
وسبقه ، مثل قوله في وصف الخيل ، وهو من سبقه :

كَأَنَّ أَعْيُنَهَا مِنْ طُولِ مَا جَشِمَتْ

سِرِ الْهَوَاجِرِ ، زَيْتٌ فِي قَوَادِيرِ (١)

وقد طرق من أبواب الشعر ، ما كان مألوفاً على
عَهْدِهِ .. فمدح الخلفاء الأول في العصر الأموي ممن
عاصروهم ، وقد عاصر أكثر من خليفة ، اذ امتد به
العمر من عهد معاوية الى ما بعد عهد عبد الملك بن
مروان .. وقد يبدأ مديحه بما اعتاد أن يفعل
معاصروه .. فالناقة قد طال بها السرى .. وبرّح
بها المسير المتواصل ، ولكن عزاءها أنها تقصد
كريماً سخياً .. الى آخر ما يضيف على ممدوحه من
خلال ..

فها هو يدخل على مروان بن الحكم ، بعد أن
أصبح خليفة ، ليهنئه قائلاً :

(١) الشعر والشعراء : ترجمة أرطاة .

تشكى قلوصى الى الوجى
تجر السريح ، وتبلى الخدام (١)

تزور كريمأ له عندها
يد .. لا تعد .. وتهدى السلاما

وقل ثوابأ له ، انها
تجيد القوافى .. عامأ .. فعاما (٢)

الى آخر الأبيات .. وقد أجاد فى قوله :

وقل ثوابأ له .. انها

تجيد القوافى عامأ فعاما ..

ولعلنا نلاحظ أنه جيد الاختيار لموسيقاه ..
وانه ينسق بين ألفاظه تنسيقاً بارعاً ..

ولنتأمل قوله فى هذه القصيدة .. بعد هذا البيت
مباشرة :

وسادت معداً ، على رغمها

قريش .. وسدت قریشأ .. غلاما ..

(١) القلوص : الناقة الشابة .. والوجى .. رقة الجلد من كثرة المشي .
السريح : قطعة من الجلد توضع على النعل ، وتشد بسير يسمى الخدام .
(٢) فى « تاريخ الأدب العربى » للدكتور عمر فروخ ، صوب تجيد بتجد
اي تجدد القوافى عامأ بعد عام ، وهو أليق .
والنص من « الأغانى » ترجمة أرطاة .

ونحن لا نستغرب أن يطرب مروان لهذه القصيدة
البديعة ، وان يأمر له بثلاثين ناقة .. يوقرها كلها
'براً وزيبياً وشعيراً ... !

وقد جاء في أخباره أنه كان يرتاد معاوية بن
أبى سفيان وينشده شعره ، وانه كان يقبل عليه ،
ويحتفى به ، ويرفده (١) ولا شك أنه قد امتدحه ،
وان لم يصل إلينا شيء من مديحه ..

كما ورد في أخباره أنه كان يختص مروان بن
الحكم وأخاه يحيى بمدائحهم (٢) ..

وقد سبق أن رأينا شيئاً من مديحه لمروان ، وان
لم نقف على مديحه لأخيه ..

كما جاء في أخباره ، ما سبق أن ذكرته ، من أنه
عاد من الشام الى بلده ، بعد أن امتدح عبد الملك
ابن مروان ، وأطال المقام في الشام ، حتى أرجف
أعداؤه بموته ، ولكنه عاد محملاً بالهدايا

(١) الأغاني : ج ١١ ص ١٣٩

(٢) الأغاني : ترجمة أرطاة .

والأعطيات (١) بيد أننا لا نجد نصوصاً مسعفة من مدائحه لعبد الملك ..

وأكثر ما وصل إلينا من شعره ، هو الهجاء ، فقد اهتم أبو الفرج في كتابه « الأغاني » بإيراد عدد من أخبار مهاجاته ، مع نصوص من هجائه .. وذلك خلال ترجمته له .. وأشار الى بعض أولئك النفر الذين دخل أرطاة معهم في معارك هجائية .. وأبرز هؤلاء شبيب بن البرصاء .. وقد استفاضت أخبار تهاجيهما ، حتى لقد دخل أرطاة مرة على عبد الملك بن مروان فاستنشدته شيئاً مما كان يناقض به شبيباً فأنشده قصيدة بائية ، يقول فيها :

رمتك فلم تشو الفؤادَ جنوبُ
وما كل من يرمى الفؤادَ يصيبُ (٢)

وما زودتنا .. غير أن خلطت لنا
أحاديث .. منها صادق وكذوب

(١) الأغاني : ترجمة أرطاة .

(٢) لم تشو : لم تصب . وجنوب : اسم امرأة ..

الا مبلغ فتیان قـومي اننى
هجانى ، ابن برصاء الـيـدين ، شبيب

فلو كنت عوفياً ، عميت واسهلت
كـذاك ، ولكن المريب .. مريب(١)

وقد بذل يحيى بن الحكم (أخو مروان) جهوداً
للصلح بين شبيب وأرطاة .. فاصطلحا ، ولكن لم
يدم صلحهما ، وكانت بنو مرة ، تألف يحيى بن الحكم
وتنتجعه لصهره فيهم

وهجا شاعراً آخر هو زميل بن أبير .. ولّجت
بينهما الخصومة .. وكان زميل هذا قد قتل رجلاً
يدعى سالم بن دارة .. وتوعد أرطاة أن 'يلحقه
به .. قائلاً : انى لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن
دارة .. ولكن أرطاة .. كان كفواً للتحدى ، ثابت
الجنان ، لا يرهبه وعيد ولا تهديد .. اسمعه يقول :

يا زمـل .. انى ان أكن لك سائقاً
تركض برجليك النجاء .. وألحق(٢)

(١) الملص بتمامه في الأغاني : ترجمة أرطاة .
(٢) اي اننى لو طاردتك .. لركضت تطلب النجاء .. ولكنى لاحقك مهما
يكن الأمر .. وقد سبقت الإشارة الى هذه الأبيات .

لا تحسبني كامرىء صادقته

بمضيعة ، فخدشته بالمرفق (١)

انى امرؤ .. أوفى .. اذا قارعتكم

قصب الرهان .. وما أشأ أتعرق (٢)

على انه من أجل الاستمتاع بهذه الصورة الفنية
كاملة ، أورد رد زميل .. فقد أجابه قائلاً :

يا ارط .. ان تك فاعلا ما قلتَه

والمرء ، يستحيى .. اذا لم يصدق ..

فافعل ، كما فعل ابن دارة .. سالم

ثم امش هونك سادراً لا تتق

واذا جعلتك بين حىي شايبك

الأنياب .. قارعدا ما بدالك وابرق (٣)

ومن حسن الحظ أن أحداً منهما لم ينفذ
وعيده ..

(١) أي لا تظننى كابن دارة .. الذى صادفته بأرض مضيعة .. فغدرته ..
فانى من طراز آخر ..

(٢) أي اننى ساحصل فى نزالك على قصب السبق .. واتعرق عظمك فلا
اترك عليه حمأ ..

(٣) النصان فى الاغانى ترجمة ارطاة .

وقد نشبت بين أرطاة ، وبين شاعر آخر ،
أيضاً ، هو الربيع بن 'قعنْب' معركة هجاء ..
يفصل أبو الفرج في « الأغاني » أسبابها ، ولجت
بينهما الخصومة .. حتى قال الربيع في هجو أرطاة
من أبيات :

وما عاشت بنو 'عقْفان' الا
بأحلام كأحلام الجوّاري.. (١)

وقال أرطاة ، فيما قال من رده :
وأي الناس أخبث من 'هبيـل'
فـزاري وأخبث ريحَ دار ! (٢)

وكانت بينه ، وبين رجل من بني أسد ، يقال له
حيان ، مهاجاة ، فتدخل بينهما 'حباشة الأسد'
فهجا أرطاة ، فقال فيه أرطاة من أبيات :
أبلغ حباشة : اني غير تاركه
حتى اذلكه .. اذ كان ما كانا

(١) عقْفان : بضم العين وسكون القاف : حي من خزاعة .

(٢) القصة والنصوص في الأغاني ترجمة أرطاة .

الباعث القول ، يسديه ويلحمه

كالمجتدى الشكل ، اذ حاورت حيانا (١)

وقد يشترك مع غيره ، في هجاء شخص واحد
فقد جاء في أخباره أنه نزل مرة ، هو وشبيب
ابن البرصاء و'عوف القوافي (٢) ، برجل من
أشجع ، كثير المال ، يسمى علقمة ، فأتاهم بشربة
ممدوقة (أي لبن مخلوط بالماء) ولم يذبح لهم ،
فلما رأوا ذلك منه ، قاموا الى رواحلهم فركبوها ،
ثم قالوا : تعالوا حتى نهجو هذا الكلب . فقال
شبيب :

أفي حدثان الدهر ، أم في قديمه

تعلمت .. ان لا تقرى الضيف .. علقما ؟

(١) أي ان حياشة هذا كالباحث عن حقه بظلفه .. تدخل فيما لا يعنيه
عندما حاورت حيان .. فسوف أذله ولن أتركه .. والنص في الأغاني ترجمة
أرطاة ..

(٢) عوف القوافي هو عوف بن معاوية بن عقبة ، من بني حذيفة بن
بدر من فزارة ، شاعر مقل من شعراء العهد الأموي توفي حوالى سنة ١٠٠ هـ
له ترجمة في خزانة الأدب . وفي الاعلام .

م-٥ أرطاة بن سهية

وقال أرطاة :

لبثنا طويلا .. ثم جاء بمذقة
كماء السلاقي ، جانب القعب .. اثلما

وقال عويف :

فلما رأينا انه شر منزل
رمىنا بهن الليل .. حتى تغرما ! (١)

وقد يعقب مديحه هجاء ، كما جاء في قصته مع
مسرف بن عقبة المري ، التي مرت بنا من قبل ،
فقد جاء أرطاة ليمتدحه فتجهم له بأقبح القول ،
وطرده ..

وكان في جيش مسرف رجل من أهل الشام ، من
'عذرة' ، يقال له عمارة .. كان يرى أرطاة عند
معاوية بن أبي سفيان ، وسمع شعره ، وعرف
اقبال معاوية عليه ورفده له .. فأوماً الى أرطاة
فأتاه ، فقال له : لا يغرك ما بدا لك من الأمير ،

(١) النص بالاغاني : ترجمة أرطاة .

فانه عليل ضجر ، ولو قد صحّ ، واستقامت الأمور
لزال عما رأيت من قوله وفعله ، وأنا .. بك عارف
.. وقد رأيتك عند أمير المؤمنين (يعنى معاوية) ،
ولن تعد منى ما تحب .. ووصله .. وكساه ،
وحمله على ناقة .. فقال أرطاة يمدحه ، ويهجو
مسرفاً :

لحى الله فـودى مسرف وابن عمه
وآثار نعلى مسرف حيث أثرا

مررت على ربيعهما فكاننى
مررت بجبارين من سرو حميرا (١)

على ان ذا العليا .. عمارة لم أجد
على البعد ، حسن العهد منه تغيرا !

حبانى ببرديه .. وعنس كأنما
بنى فوق متنيها ، الوليدان ، قهقرا (٢)

وهجاء أرطاة قد يبلغ أحيانا حد الاقذاع
الشديد .. حتى لا يسوغ ايراد نصوصه .. ولكن

(١) يروى أيضا : تضيفت جبارين من سرو حميرا .
(٢) القهقر : بتخفيف الراء وتشديدها : الحجر الاملس الأسود الصلب :
ويريد الكناية عن ثقل حمل ناقته . تراجع ترجمة أرطاة فى الأغاني .

هذا النوع من الهجاء كان شائعاً على عهد أوطاة ..

ونحن نجد فى بعض هجاء أوطاة .. ارتفاعاً فى
نسبة الانفعال .. وحرارة العاطفة .. كما هو فى
قصيدته فى هجاء شبيب التى أنشدها بين يدي
عبد الملك وقد كان عبد الملك - كما يبدو -
معجباً بها ..

★ ★ ★

أما غزله .. فرقيق .. وهو الى رفته مهذب
اللفظ والمعنى .. مع احتفاظه بأسلوب أدائه الذى
يتسم بقوة البناء .

لقد أحب أوطاة - كما مر بنا - فتاة اسمها
« وجة » ، من قبيلة « غنى » كانت تنزل « رمان »
مجاورة « قصر العذيب » ولكننا لا نكاد نجد من
أخباره معها الا النزر القليل ، ولا نجد من غزله
فيها الا قطعتين من الشعر .. وقد سبق أن تحدثت
عن بعض خبره معها ..

وكعادة الشعراء في الجاهلية ، وفي صدر الاسلام
- عصر أوطاة - فقد كان أوطاة يفتخر بنفسه
وبقومه .. وقومه هنا هم بنو مرة .. الذين عاش
في أكنافهم ، واعتصب بهم ، وشاركهم بأساءهم
وضراءهم ..

وقد مر بنا من فخره بنفسه قوله :

.. واني ابن حرب .. لا تزال تهرنى

كلاب عدوى .. أو تهر كلابى ..

وهو هنا يصرح بما يفتخر به ، فهو ابن حرب ..
يغزو عدوه .. فلا يبالي بما يصيبه من جراء غزوه
.. وهو أيضاً يتعرض لغزوات عدوه ، فيحسن
الدفاع ، ولا يبالي بما يتعرض له أيضاً من جراء
ذلك ..

كما مر بنا فخره بحسن ضيافته ، وانه لا يصون
عن ضيفه شيئاً الا محارمه .

وقد سبق أن أوردت بعض أبيات من قطعة

يتحدى فيها خصمه شبيب بن البرصاء ، ويتحدث
فيها عن شجاعته ، وقد تضمنت القصيدة ، تمدحه
بنفسه وافتخاره بها .. وفيما يلي نصها كاملة :

ان تلقني لا ترى غيري بناظرة
'تليق السلاح ، وتعرف جبهة الأسد
ماذا أظنك 'تغنى في أخي رصـد
من أسد خفّان ، جابى العين ذى لبد(١)
أبى ضراغمة ، 'غبر يعودهـا
أكل الرجال ، متى يبدأ لها 'يعد(٢)
يا أيها المتمنى ان يلاقيـنى
ان تنأ آتك ، أو ان تبغنى تجد(٣)
تقض اللبانة من مرّ شرائعه
صعب المقادة تخشاه .. فلا تعد(٤)

-
- (١) جابى العين : بمعنى غليظها .
(٢) أي أنه أسد قد أنجب أسوداً يعودهـا أكل الرجال .
(٣) أي لن تقلت منى بحال ، ان تبتعد أقترّب اليك ، وان تقترب تبعدني
بالمرصاد ..
(٤) أي تقض حاجتك الى لقائه فتجده مرّ المورد صعب القياد ، مرهوب
الجانب .

- متى تَردنى لا تصدّر لصدره
 فيها نجاة ، وان أصدرك لا ترد(١)
 أنا ابن 'عقنان .. معروف له نسبي
 إلا بما شاركت أم على ولد(٢)
 لاقى الملوكة .. فأتى في دماهم
 ثم استقر ، بلا عقل ولا قود(٣)
 من عصابة يطعنون الخيل ، ضاحية
 حتى تبدد كالمزودة الشرد(٤)
 ويمنعون نساء الحي ، ان علمت
 ويكشفون قتام الغارة العمد(٥)
 أنا ابن صرمة ، ان تسأل خیارهم
 أضرب برجلي في ساداتهم ويدي(٦)

-
- (١) الورد الى الماء ، هو الذهاب الى السقيا ، والصدور هو الاياب منه .. فهو يقول انك ان تات لن تعود .. وان عدت فلن تستطيع أن تعاود الكرة ..
 (٢) هكذا ورد البيت ولعل المعنى يستقيم بتعديل الشطر الثانى ليكون .. وليس ما شاركت .. الخ .
 (٣) أي لم يؤخذ منه قود ولا على عاقلته ..
 (٤) المزودة : المفزعة التى مستها الخوف الشديد .
 (٥) القتام : الغبار الأسود - العمد : ربما كان المقصود الغارة المتعمدة .. أو الشديدة .. أو النازلة .
 (٦) أي اننى معرق أصيل فيهم .

وفي بنى مالك أم .. وزافرة

لا يدفع المجد من قيس الى أحد(١)

ضربت فيهم بأعراقى ، كما ضربت

عروق ناعمة فى أبطح ثند(٢)

جلى قضاة .. معروف ويعرفنى

جبار فيدة .. أهل السرو والعدد(٣)

ونلمس فى هذه الأبيات ، تمدحه بقومه ، وبالفـ
فخره بهم .. واعتزازـه بنسبه فيهم .. مع ما نعلمه
من تنازع ضرار وزفر ، أو أهل زفر فيه ..

ونجد أيضاً فخره بنفسه وقومه ، فى الأبيات
الآتية :

فلو ان ما 'نعطى من المال ، نبتغى

به الحمد ، يعطى مثله زاخر' البحر

(١) قيس : قيس عيلان قومه الذين روى فيهم يقخر بهم .

(٢) ثند : النبت ندى : والابطح الثند : الندى الرطب .

(٣) النص من الاغانى : ترجمة ارطاة بن سهية .

لظلت قـرـاقـير صـيـاماً بظـاهـر
من الضحل ، كانت قبل في لجج خضر (١)

ولا تكسر العظم الصحيح تعزراً
و'نغنى عن المولى ، ونجبر ذا الكسر

غلبنا بنى حواء .. مجداً وسودداً
ولكننا لم نستطع غلبَ الدهر (٢)

ونحن نجد في هذه الأبيات أيضاً طابع المبالغة
والمغالاة .. على انها قوية السبك ، فخمة الأداء :

ومما افتخر به أرطاة قوله :

أجلت أهل البرك من أوطانهم
والخمس من 'شعبا وأهل الشرب (٣)

-
- (١) القراقير : واحدها 'فرقور : وهي السفن . والضحل : الماء القليل
والخضر : السود .
والمعنى اننا نعطي ما لا يعطيه البحر .. ولو أن البحر يعطي مثل ما نعطي
لجرت السفن على الضحل ، ولا نحسرت الأمواج الخضراء العاتية !
(٢) الأبيات الأربعة في شرح الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١٩٩ ..
(٣) سبق التعريف بالشرب
وجاء في كتاب « ابن أبي عتيق » ناقد العجّاز للدكتور عبد العزيز عتيق
أن الشرب : واد في ديار بني ربيعة . قال خزرج بن لؤذان (باللام) :
لئن الديار عرفتها بالشرب ذهب الذين بها ولما تذهب

ولا يتخلف أرطاة عن حروب قومه (بنى مرة)
ولا عن خصوماتهم ، فقد اشترك معهم في موقعة
(بنات قين) ..

وبنات قين موقعة وقعت بين بنى فزارة وبنى
أسد ، أوقعت فيها بنو فزارة ببنى أسد على هذا
الماء ، وهو في الشام في بادية كلب بالسماوة (١)
وذلك في أيام عبد الملك .

وعنها يقول :

فلما ان طلعن نَعَيْن جعداً
وقتلى « العاه » اذ قَتَلُوا غرورا (٢)
بـلأَي ما تنـاول ملجـمـوها
نواصي قـرُح ذهبـت صـدورا

(١) قين : بفتح القاف وسكون الياء ، وهذا الماء عيون عدة ، وسميت
بذلك لأن القين بن جسر (بفتح الجيم) كان ينزل بها ويقول هذه العيون
بناتي .

(٢) الجعد : هو الجعد بن عبد الله بن عيينة بن حصن .. وكان مقتله
سبباً في إيقاد نار الفتنة يوم « بنات القين » و « العاه » جبل في أرض فزارة
وهو الموقع الذي أوقعت فيه كلب ببنى فزارة ، فتجمعت فزارة وأوقعت بكلب
في بنات قين أيام عبد الملك بن مروان .
نص البيهقي في شرح الحماسة للتبريزي ج ٢ ص ١٠٠ .

وفى يوم بنات قين ، يقول أرطاة :
 وقعنا وقعة برؤوس كلب
 شفت قيساً ، واخفرت الاميرا (١)
 ويبدو أن هذه الأبيات الثلاثة من قصيدة واحدة
 لم تصل إلينا كاملة ..

★ ★ ★

وقد رثى أرطاة قتلى قومه يوم « بنات قين »
 فقال في ذلك :

أعاذلتى .. ألا لا تعذلينى
 ألقى اللوم ان لم تنفعينى

فقد أكثرت ، لو أغنيت شيئاً
 ولست بقابل ما تأمرينى

فلا .. وأبيك .. لا ننفك نبكى
 على قتلى هنالك .. ما بقينى

على قتلى هنالك .. أوجعتنى
 وأنستنا رجالاً آخرينى

(١) البيت أورده التبريزي فى شرح العناسة ج ٢ ص ١٠١ ، وقد أورد طرفاً من خبر الفتنة .

سنبكى .. بالرماح اذا التقينا
على اخواننا وعلى بنينا
بطعن ترعد الاحشاء منه
يردّ البيض والأبدان جونا (١)
كأنّ الخيل اذ آنسن كلباً
يرين وراءهم ما يتغينا (٢)

ونلاحظ في رثائه جيشان العاطفة .. والروح
الباكية .. الباكية باصرار .. وان كان أرطاة
لا ينسى صلابته ، فهو يفىء اليها ليقول انه سيبكى
بالرماح .. سيجعلها تقطر دماً .. انتقاماً لقتلى
قومه .. من اخوان وبنين ..

كما نلاحظ أن أبياته في الرثاء معبرة موحية
.. سلسلة .. ليس فيها ألفاظ غريبة .. حتى لقد
اختير بعضها للغناء !

(١) الجون : السود .

(٢) نص الابيات من الاغانى (ترجمة أرطاة) وقال أبو الفرج انه 'يفنى
فى البيتين الاولين ..

وقد مرّ بنا من قبل قصة تأثره البالغ لفقد ولده الطفل الذى لم يتجاوز العام .. حتى ليكاد يجن .. بل حتى لقد حمل قومه على البقاء حولا كاملا فى ديارهم المحلة دون الانتقال منها لطلب الكلا ..

وأنا هنا أورد قصيدته فى رثاء ابنه عمرو كما وردت فى الأغاني (١) :

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكن
وقوفى عليه غير مبكى ومجزع

هل انت .. ابن سلمى - ان نظرتك رائح
مع الركب ؟! أو غاد غداة غد معي ؟ (٢)

أنسى ابن سلمى ، وهو لم يأت دونه
من الدهر الا بعض صيف ومربع (٣)

وقفت على جثمان عمرو فلم أجد
سوى جدث .. عاف ببذاء بلبقع (٤)

-
- (١) من نصين أدخلتهما فى بعض (ترجمة أرطاة) .
(٢) أورد صاحب الحماسة هذا البيت قبل سابقه فجعله زول ، وجعل هذا تالياً ، وفى الموضعين جاء اسم ليلي بدلا من سلمى .
(٣) أي مر عليه بعض الصيف وبعض الربيع ، فهو فى عامه الاول .
(٤) البذاء : الصحراء . البلبقع : الخالية .

ضربت عمودي بانه .. ثمرا معاً
فخرت ، ولم أتبع قلوصى بدعده

ولو انها حادت عن الرمس نلتها
ببادرة من سيف أشهب 'موقع
تركتك .. ان تحيى تكوسى ، وان تنؤ
على الجهد .. تغذلها توال فتصرع

وكائن ترى من ذات بث وعولة
بكت شجوها بعد الحنين المرجع
فكانت كذات البو ، لما تعطفت
على قطع من شلوه المتمزع

متى لا تجده .. تنصرف لطياتها
من الأرض .. أو تعمده لألف فتربع
عن الدهر فاصفح .. انه غير معتب
وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع(١)

ونلاحظ أيضاً ظاهرة الأسى العميق ، الذى
يبلغ حد التطرف .. وان كان أرطاة قد فاء الى
نفسه فأطلق هذه الحكمة الصادقة المتمثلة في البيت
الآخر .

★ ★ ★

(١) أورد هذا البيت صاحب « العناسة » مع البيتين الاول والثاني
فقط .

ويشترك أرطاة في خصومات قومه .. كما يشترك
في حروبهم ، وفي ذلك يقول :

ونحن بنو عم على ذات بيننا
زرابي فيها بغضة وتنافس (١)

ونحن كصدع العس ، ان يعط شاعبا
يدعه .. وفيه عيبه متشاخص (٢)

كفى بيننا أن لا ترد تعية
على جانب .. أو لا يشمت عاطس

وتبدو الصورة التي يقدمها أرطاة عن خصومة
بنى قومه ، بعضهم للبعض الآخر ، واضحة قوية
التعبير ، تدرج في الأداء ، حتى تصل القمة .. فهو

(١) أورد الآبيات الثلاثة أبو تمام في « الحماسة » وشرحها التبريزي ،
وهي أشبه أن تكون من قصيدته السينية التي تغزل فيها بحبيبه وجزء ..
.. وقد رجح التبريزي أن المراد بالزرابي في البيت الأول : الطنافس والبسط
.. وقال انها في ديوان أرطاة (زرائب) فكانه جمع زريبة ، فجعل العداوة
زريبة لأنها تزرب في القلب أي تسلك إليه .
« يلاحظ ما جاء في سمط اللآلي » اذ يروي النص لعمر بن العاص ،
كما يروي لابي غطفان الصادري ، قال صاحب « سمط اللآلي » ومن قال انها
لعمر بن العاص فقد أخطأ ، وانما قالها عمرو ممتثلا .

(٢) قال التبريزي : العس : القدح الضخم . والشاعب : مصلح
الأقداح . والمتشاخص : التفاوت المتباين . أي استحكم العداء بيننا حتى
لا نقبل صلحا .

يبدأ الصورة ، بأن يقول : اننا بنو عم حقاً ..
ولكننا كالمسالك الضيقة المعتمة .. فيها خوف ،
وفيه تنافس .. وفيها البغض كامناً ..

اننا كالصدع الجسيم في الكأس ، لا يستطيع
الشاعب ، أن يصلحه فيتحرر في أمره .. ويعجز في
تدبيره .. ثم يعود منه .. وفيه صدوع كثيرة .. لم
تصل اليها خبرته ..

لقد بلغ أمرنا غاية السوء .. بلغ حد القطيعة
بحيث لا ترد تحية .. ورد التحية واجب .. وبحيث
لا يشمت عاطس .. والتشميت مطلوب ..

★ ★ ★

وقد نجد لارطاة نصوصاً متفرقة ، في أغراض
أخرى ، غير تلك التي استعرضنا .. فاننا نجد
(يلوم) عقيل بن 'عائفة' (١) ، أحد معاصرين من

(١) عقيل : بفتح العين ، وكسر القاف ، و'عائفة' بضم العين المهملة .
وتشديد اللام المفتوحة ، بعدها فاء . والعلفة : واحدة العلف ، وهو ثمر
الطلع . ترجم له صاحب الاعلام فقال عنه : عقيل بن علفة بن الحارث بن
معاوية الربوعي المرى الضبياني الذبياني أبو العنسل شاعر مجيد مقل ،
كانت إحدى بناته واسمها الجرباء زوجة للخليفة يزيد بن عبد الملك وفاته
سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ م .

الشعراء .. وكان هذا قد طرد بنيه ، فتفرقوا عنه ،
وبقي وحده .. فتسلط عليه رجل من بنى صرمة ،
يقال له بجيل ، كثير المال والماشية ، فحطم بيوت
عقيل بماشيته ، ولم يكن أحد (من قبل) يقرب من
بيوت عقيل الا لقي شراً .. فطردت أمة له يقال
لها « صافية » الماشية .. فضربها بجيل بعضا
فشجها ، فخرج اليه عقيل وحده .. وقد هرم ، فزجر
بجيلا ، ولكن هذا ضربه واحتقره .. فجعل عقيل
يصيح منادياً أبناءه .. يا 'علفة .. يا عملس ..
يا .. مستغيثاً بهم ، وهو يحسبهم لخرفه الى جواره
فقال له أرطاة :

أكلت بنيك ، أكل الضب ، حتى
وجدت مرارة الكلاؤ الوبيل (١)

ولو كان الأولى غابوا شهوداً
منعت فناء بيتك من بجيل (٢)

ونلمس ظاهرة الوضوح والنفاز الى المعنى ماثلة

(١) الكلاؤ : العشب . والوبيل : الوخيم : أي حصدت النتيجة .
(٢) الأولى : الذين . النص من الاغانى ترجمة أرطاة .

في هذين البيتين ، وهي الظاهرة التي تغلب على شعر
أرطاة ..

نجد هذه الظاهرة حتى في أبياته المفردة فهو مثلاً
عندما يعتذر لأحد ممدوحيه عن تكرار الزيارة
يقول في « اختصار » وفي دقة ، وفي وضوح ، ونفاذ :

عداني ان أزورك أن بهمى
عجايأ .. كلها .. الا قليلا (١)

وهو يقول لأم بيضاء .. التي لا نعرف من أمره
وأمرها شيئاً .. متأسفاً على شبابه .. مقرأً بواقع
هرمه ، وتغضن جلده .. ونجد في هذا البيت أيضاً
تلك الظواهر التي أومأنا إليها :

فقلت لها : يا أم بيضاء انه
هريق شبابي .. واستشن أديمي (٢)

(١) البيت في الامالي ج ١ ص ١١٤ غير منسوب وفي سمط اللآي ص ٣٤٢
المجلد الأول منسوب الى أرطاة ، وليس معه غيره .
وقوله عجايأ .. العجايأ من السائمة ما فقد أمه .
والبهمى : أولاد البقر والمعز والضأن .

(٢) البيت من سمط اللآي ص ٣٣٣ والاهراق السكب . واستشن : أي
صار شناً .. أي تقادم والاديم الجلد ..

أَيْنَ دِيوانه ؟

وبعد أن استعرضت أهم الأغراض التي تناولها
أرطاة بن سهية في شعره ..

وبعد أن استطرق البحث الى نماذج من شعر هذا
الشاعر ..

ودلنا كل ذلك على أنه شاعر فحل مطبوع ،
جيد الشعر ، له صور مبدعة تنم عن أصالته ،
وعلو كعبه ..

لنا ان نتساءل عن ديوانه .. وحق لهذا
الشاعر ، أن يكون له ديوان مجموع ..؟ ونحن نعلم
أن هناك من قدامى الأدباء واللغويين من أولع
بجمع دواوين الشعراء ، وصناعتها ، وضم شتات
أشعارهم من بطون الكتب ، فهل تناول أحدهم
أشعار أرطاة ، بمثل هذا الجمع والتدوين ؟

نجد نصاً للتبريزي في شرحه لحماسة أبي تمام
يدل على شيء من ذلك ..

يقول التبريزي في الجزء الأول ص ٢٨ من طبعة
بولاقي سنة ١٢٩٦ هـ :

ونحن بنوعم على ذات بيننا

زرابي فيها بغضة وتنافس

... قال أبو العلاء : اذا صح أن الزرابي يراد
بها العداوات والقوارص ، فهي من قولهم زربت
البهم في الزريبة اذا أدخلته فيها ، ومعروف من
كلامهم أن يقال : بينى وبينه دسيس عداوة قال
الشاعر :

لا تسأما لى من دسيس عداوة

أبدأ .. فليس بمسئى ان تسأما

وقيل انها في ديوان أرطاة زرائب على مثال
غرائب) ..

هذا هو نص التبريزي ..

وواضح أن النص يدل على انه كان هناك ديوان مجموع لارطاة .

وكنت قد نشرت في عام ١٣٩٤ هـ في مجلة الكتاب العراقية ، حينما كان يرأس تحريرها الأستاذ الصديق « هلال ناجي » مقالا .. أشرت فيه الى النص المذكور ، والى احتمال وجود مخطوطة الديوان في احدى مكتبات العالم .. ورجوت الأخوة من الباحثين العراقيين أن يهتموا بهذا الأمر .. وخصصت الباحثين العراقيين بذلك ، لما أعلمه من عناية فريق منهم بالتراث ، وتحقيقه واخراجه .. وتخصص نفر منهم في جمع الدواوين الشعرية وصنعها .. وان لهم نشاطاً ملموساً في ذلك .

وكان ان بادر الأستاذ الصديق « هلال ناجي » وهو باحث مشهور ، له عناية فائقة في ملاحقة التراث ونشره ، ومتابعة مخطوطاته - فكتب الي في ١٢/٢٣/١٩٧٤ م يخبرني بما ورد في كتاب بروكلمان (تاريخ الأدب العربي) من أنه توجد

نسخة مخطوطة من ديوان أرطاة برواية ابن الأعرابي
في المكتبة الآصفية في حيدر آباد بالهند ٢ : ١٤٢٨
برقم ١٥٢

وانه يوجد أيضاً من الديوان منتخب مخطوط ،
لزيد بن رفاعه ، محفوظ في برلين برقم ٦٣٢٩ ،
وان أحد المستشرقين نشر قسماً من شعر أرطاة في
مجلة JRAS (مجلة الجمعية الآسيوية الملكية سنة
١٩١٧) .

وعجبت كثيراً .. فقد كنت في بداية اهتمامي
بأرطاة قد راجعت ما كتبه بروكلمان عنه ، فلم
أجده أشار الى شيء من ذلك ..

ولم يكن بين يدي من بروكلمان ، الا ما نشر
مترجماً باللغة العربية ، وعيبه ، ان معظم أجزائه
غير مفهرسة أعلامياً عكس النسخة الألمانية التي لم
أقف عليها .

ولكن أستاذنا الجليل العلامة الشيخ حمد الجاسر ،
كتب الي في ١٣٩٥/٦/٢٨ هـ يذكر أنه اطلع على

ما نشرته في مجلة (الكتاب) العراقية ، وانه قد رأى في كتاب تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٢٠٤ في ترجمة (محمد بن زياد الأعرابي) (١٥٠/٢٣١هـ) أنه عدّ من مؤلفاته ، شعر أرطاة بن سهية ، وذكر أنه يوجد في المكتبة الآصفية في الهند ١٤٢٨/٢ رقم ١٥٢ . كما ذكر أن في مكتبة برلين قطعة منه انتخبها زيد بن رفاعه ، وأحال الي مقال نشر في مجلة المستشرقين الألمان م ٢٠١/٩٠ .

وهكذا جاءت هذه الافادة مماثلة لما تفضل به الباحث الكبير « هلال ناجي » ، الذي لم يفتنه أيضاً أن يدلني في رسالة لاحقة على تحديد جزء المصدر ..

وبذلك سهل علي الرجوع الى بروكلمان ، وتأمل ما ذكره ..

وهنا بدأت مرحلة جديدة في البحث عن ديوان أرطاة ..

استعنت بمعالي السفير الشيخ محمد الحمد

الشبيلي(١) ، فكتب الى معارفه بالهند ، وهو فيها
كثير الأصدقاء ، كما انه كثيرهم في كل بلد عاش
فيه .. فأرسل الي جواب باحث كريم .. يجزم أن
الديوان غير موجود في المكتبة الآصفية ..

وصادف ان كانت الباحثة الكويتية الأستاذة
(طيبة العثمان) ، تبحث في نفس الوقت ، عن
ديوان أرطاة ، وتضع رسالتها في الدراسة العليا
عنه وقد علمت من الأستاذ هلال ناجي عن
اهتمامي بالموضوع ، وقرأت ما كتبت عن الديوان
في مجلة الكتاب ، فكتبت - متفضلة - تخبرني
بنتائج بحثها عن الديوان في المكتبة الآصفية ، بل
أرسلت الي صورة من جواب هذه المكتبة على
استفساراتها .. وكان الجواب يتضمن بكل أسف
عدم وجود ديوان أرطاة ، وان المخطوط الذي يحمل
الرقم الذي أشار اليه بروكلمان ، انما هو خاص
بكتاب (اصلاح المنطق) لابن السكيت ..

(١) معاليه الآن سفير المملكة في ماليزيا ، وقد شغل عدة سفارات هامة ،
وكان ولا يزال محل الإعجاب والحب ، فهو من نوادر رجال العصر كرمًا وسخاء ،
ولطفًا ، ولباقة وایناساً ..

وكذلك علمت أن مخطوطة برلين ، حسب الرقم
الموجود لديها انما هو لكتاب (جوامع اصلاح
المنطق لزيد بن رفاعه) ، وهو مختصر كتاب
(اصلاح المنطق) لابن السكيت ، وانها قد رجعت
الى النص الألماني من كتاب (بروكلمان) فاتضح لها
الآتي :

G 1/120/23

ان ترجمة ابن السكيت رقم ٧

ان ترجمة ابن الأعرابي رقم ٦

ورقم شعر أرطاة بها رقم ٧

وان كتاب (اصلاح المنطق) هو رقم ١ في
مؤلفات ابن السكيت ، وانه حصل لبس للمترجم ،
فبدلا من وضع البيانات الخاصة بابن السكيت
ورقمه ٧ وضع البيانات من الكتاب رقم ٧ عند
ابن الاعرابي ، وهو اشارته الى عمله شعر أرطاة
نقلا عن الأغاني ، وان الحقيقة التي توصلت اليها
هو عدم وجود ديوان أرطاة في الأصفية أو في
برلين .

وهذه النتيجة .. أعنى عدم العثور على ديوان
أرطاة في المكتبتين سالفتي الذكر ، هي أيضاً
ما توصلت اليه شخصياً .. وقد أسلفت قصة البحث
في المكتبة الآصفية ..

أما مكتبة « برلين » فقد استعنت بالبحث فيها
بمعالي الأستاذ الشيخ « جميل الجيلان » (١) ، الذى
كان آنذاك سفير المملكة العربية السعودية في ألمانيا
الغربية .. وقد تفضل فعهد بالأمر الى رجل همام
هو الدكتور « محمود حسين الأحول » ، الذى اهتم
بالموضوع كثيراً ، ثم أجابنى في خطابه المؤرخ
١٣٩٥/١١/٨ هـ ، وأرسل الي صورة من جواب
الدكتور « فرتيز ستيبات » مدير معهد العلوم
الاسلامية بجامعة برلين الحرة .

(١) معالى الشيخ جميل جيلان ، كان وزيراً للاعلام ، ويعمل الآن سفيراً
للمملكة العربية السعودية في باريس ، وهو من خيرة رجالات المملكة ، واسع
الثقافة ، ويجيد عدة لغات اجادة تامة ، وله فضل كبير على سلسلة (المكتبة
الصغيرة) فقد كان في مقدمة مشجعيها ، والعاملين على استمرارها
وتطويرها حينما كان معاليه وزيراً للاعلام .

قال الدكتور فريتز ، بعد أن اطلع على الجزء المترجم من بروكلمان الخاص بالموضوع : ثبت لي أن المترجم العربي قد صادفه الخطأ ، فالملاحظة التفسيرية من كتاب ابن الاعرابي لا علاقة لها اطلاقاً بهذا الكتاب ، بل تتعلق بكتاب اصلاح المنطق لابن السكيت .. وكل ما ورد في الترجمة العربية في « بروكلمان » بعد ذلك ينصب على كتاب (ابن السكيت) ، ولذا فان أي بحث في مخطوطات الآصفية تحت رقم ١٥٢ / ١٤٢٨ / ٢ ، وكذا في المنتخب رقم ٦٩٢٩ ، لا فائدة فيه .. »

وقد تأيد هذا ، بخطاب آخر من معالي الشيخ الحجيلان ، عما توصل اليه أيضاً بحث القسم الشرقي للمكتبة الأهلية بمدينة برلين الغربية ، حيث ذكر الدكتور (هـ - كورير) ان الموجود تحت رقم ٦٣٢٩ هو موضوع كتبه زيد بن رفاعه وعنوانه (جوامع اصلاح المنطق) وانه كذلك لا يوجد شيء في نسخة المجلة التابعة للجمعية الآسيوية الملكية سنة ١٩١٧ ، وانه بالبحث أيضاً في

مخطوطات مكتبة الآصفية بحيدر آباد ، الموجود
صور منها في مخطوطات (الجمعية الألمانية الشرقية
جزء ٩٠) لم يجدوا شيئاً ..

وبذلك انتفى تماماً وجود ديوان أرطاة في
الآصفية أو مكتبة برلين ..

وبه انتهى البحث في هذا الشأن ، وهو بحث
تطلب جهداً وزمناً واشترك فيه عدد من الأشخاص
وقد نجم عن خطأ من مترجم بروكلمان ..

وكما سلف ان قلت ، لم أكن وحدي في البحث
عن ديوان أرطاة فقد كان هناك ، عدا الأستاذة
طيبة العثمان ، بعض الباحثين في العراق ، أحسبهم
قد انتهوا الى نفس النتيجة ..

لقد ذكرت قصة بحثي عن ديوان أرطاة بكثير من
التفصيل .. وكان يغنيني عنه حقاً ، ان أذكر في
إيجاز النتيجة المؤسفة التي انتهت اليها .. ولكنني
فضلت أن أورد القصة كاملة ، لأوفر على أي باحث

آخر مشقة الجري وراء السراب الذى سببه مترجم بروكلمان عفى الله عنه .. كما ان هذا التفصيل قد ضم بعض الاجتهادات والاستنتاجات الشخصية التى لا يخلو ايرادها من فائدة .. عدا عن انه أشاد بفضل عدد من الأشخاص ، حقهم على الاشادة والثناء .

ومع تلك النتيجة المؤسسة التى انتهى اليها البحث عن ديوان أرطاة .. الا اننى لا أستبعد أن تكشف الأيام عن مجموعة أشعاره ، فقد كان لأرطاة نفر من المعجبين بشعره منهم الزبير بن بكار ، فقد جاء في (تهذيب ابن عساكر) هذا النص :

« قال الزبير بن بكار ، حدثنى عمى مصعب بن عبد الله فقال : أنشدنى أبى لأرطاة أبياتاً مدح فيها ثابت بن عبد الله بن الزبير على الدال . فقلت لعمى : ما أعدت أحداً يتقدمنى في معرفة شعر أرطاة ، ولا أعرف هذه الأبيات .. ثم وجدت بعد ذلك في كتب ابراهيم بن موسى بن صديق ، وكان

من الفقهاء العباد الفصحاء الرواة للآثار والأخبار
والشعر) .

ثم أورد المؤلف الأبيات الثلاثة التي قالها أرطاة
مدحاً في ثابت ، وقد سبق أن أوردتها من قبل ..

والشاهد في هذا النص ان الزبير بن بكار ، كان
معنياً بشعر أرطاة ، حتى ليعد نفسه متخصصاً فيه ،
كما يدل على عناية ابراهيم بن موسى بن صديق
بشعر أرطاة ، وتدوينه في كتبه .. فلعل أحدهما
كان محتفظاً بشعر أرطاة مجموعاً ، سواء من صنعه
أو من صنع غيره (١) .

ومما يدلنا على اهتمام الزبير بن بكار بشعر
أرطاة ، انه كان ينقده .. ففي تهذيب ابن عساكر

(١) النص المذكور من تهذيب ابن عساكر ص ٣٦٧ ج ٢ . وقد سبق أن
ذكرت في الهامش أن الأستاذ صالح محمد خلف من العراق ، قد جمع شعر
أرطاة ونشره في مجلة (المورد) العراقية العدد الأول ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م المجلد
السابع ، وقد اطلعت عليه حينما كان هذا الكتيب في الاعداد الاخير ، وقد
أحسن بذلك صنعاً . كما ان هناك غيره ممن عنى بشعر أرطاة وان لم أر لهم
شيئاً حتى صدور هذا الكتيب

أنه يذهب الى أن أرطاة سرق البيت الذي يقول
فيه :

وما تبغى المنية حين تأتي
على نفس ابن آدم من مزيد
من شعر زبان بن منظور بن سيار ، حيث يقول :

لئن فجعت بى القـرنا يوماً
لقد متعت بالأمل البعيد
وما تجد المصيبة فوق نفسى
ولا نفس الا حبة من مزيد
خلقنا أنفساً وبنى نفوس
ولسنا بالسلام ولا الحديد (١)

★ ★ ★

(١) تهذيب ابن عساكر ص ٣٦٦ ج ٢ .

نثره ؟

ومما يتصل بالحديث عن أدب أرطاة بن 'سهيّة' ، الكلام على نثره .. فهل كان لأرطاة نثر ؟ أما النثر المكتوب ، فلم يؤثر منه شيء له ، ولكن هناك قولة مشهورة ، تناقلتها كتب الأدب ، تنم عن فصاحته وحسن بيانه .. فقد روى صاحب (الأغاني) في أخباره ، القصة التالية :

« دخل أرطاة بن سهيّة على عبد الملك بن مروان ، فقال له : كيف حالك يا أرطاة ؟ - قال وكان قد أسنّ - فقال : ضعفت أوصالي ، وضاع مالي ، وقلّ مني ما كنت أحب كثرته ، وكثر مني ما كنت أحب قلته .. قال : فكيف أنت في شعرك ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ، ولا أغضب ، ولا أرغب ولا أرهب ، وما يكون الشعر الا من نتائج هذه

الأربع ، وعلى انى القائل :

رأيت المرء تاكله الليالى
كاكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغى المنية حين تاتى
على نفس ابن آدم من مزيد
واعلم انها ستكر حتى
توفى نذرها بابي الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال : بل توفي نذرها بك
ويلك .. ، مالى ولك ؟ فقال : لا ترع يا أمير
المؤمنين فانما عنيت نفسى .. وكان أرطاة يكنى
أبا الوليد . فسكن عبد الملك ثم استعبر باكياً ،
وقال : أما والله على ذلك لتلمن بى ..

وكتب الأدب التى تتناقل هذا الخبر ، كثيراً ما تفعل
ذلك إعجاباً بهذا التلخيص المحكم لدواعى الشعر ..
وهي الحوافز الأربعة .. الطرب ، والغضب ،
والرغب ، والرهب ..

ولكن هناك من يأخذ على أرطاة ، انه لم يراع
المقام .. حينما أورد أبياته الثلاثة .. ناسياً أو
ذاهلاً ان الخليفة يكنى أبا الوليد (١) .. وانه كان
عليه ، وقد أقبل عليه الخليفة .. يسأله عن أحواله
وأخباره .. وما جدّ من أشعاره .. أن يدرك أن
الخليفة ، انما يريد أن يستأنس بحديثه .. وانه
كان عليه الا (يوحشه) بحديث الموت .. ، وان
لا يفوته ، وقد طرق باب الخلفاء ، ان لا يرد فيما
ينشد من شعر ، ما يزعج أو يمسّ مشاعرهم ..
ولو من بعيد ..

على ان هؤلاء الذين يلومون أرطاة ينسون أو
يتناسون حقائق واضحة .. أولها ؛ ان أرطاة انما
دخل على عبد الملك ، وقد أسنّ .. وانه يشكو قلة

(١) ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ من الموشح للمرزباني طبعة ١٩٦٥ دار نهضة مصر .
وهناك رواية أخرى في قصة أرطاة وعبد الملك هذه أوردها صاحب تهذيب
ابن عساكر ص ٣٦٦ ج ٢ تدل على أن أرطاة قال هذه الأبيات وهو بعيد عن
عبد الملك فلما بلغته أشخصه اليه وقال له : ما أنت وذكرى في شعرك ؟
فقال : انما عنيت نفسي أنا أبو الوليد فسل عن ذلك وفي أعقابها أرجف بعض
أعدائه بموته فقال أبياته التي يقول في مطلعها : اذا ما طلعنا من ثنية لفلان .

ما كان يحب كثرته .. وهو السمع والبصر والنشاط
وصحة الحواس .. وأيضاً .. حدة الذهن .. التى بها
يدرك دقة الموقف الذى يريدون منه ادراكه ..
وثانيها ؛ ان أرطاة لا يعتبر جليس خلفاء ، ولا من
ندمان الكبراء .. وانما هو رجل بادية فيه طبيعتها
ونقاؤها وتلقائيتها .. وبهذه الطبيعة البدوية
النقية الصافية .. استرسل أرطاة في حديثه نثراً
وشعراً .. وفي حسابانه - بحكم هذه الطبيعة - انه
انما يتحدث عن بدهيات لا ضير في ايرادها ..
فالموت حق على كل البشر لا يفلت منه كبير ولا
صغير ، راع أو رعية ، غني أو فقير .. ومن الطبيعي
أن يتحدث عن الموت وقد شاخ وطعنت به السن ..
ألم يسأله الخليفة عن حاله ؟ فلم لا يصدق الحديث
.. وثالثها ؛ ان الخليفة يستنشد شياً من شعره ..
وفي حسابانه ان هذه الأبيات هي الجديد في شعره ..
الذى يصف حالته .. وما آل اليه أمره ..

أما اذا عدنا الى تأمل النص النثري ، فانا نجد
أرطاة فيه ، ميالا الى السجع ، تستهويه القافية

وأنغامها .. وهو ميال الى التقسيم والمقابلة
والايجاز والتركيز حينما يقدم في كلمات قلائل ،
أفكاراً كبيرة ومعاني مزدحمة كان من الممكن أن
تأخذ حيزاً واسعاً .. وهنا تتجلى بلاغة الايجاز .

على ان هذا النص ، يعد النص الوحيد الذى بين
أيدينا دالا على جمال نشره الأدبي ، فلم تنقل إلينا
مصادر الأدب غيره .. ولكنه يعدّ كافياً على ما كان
يتمتع به أرطاة من حاسة فنية لا تقف عند حدود
الشعر فحسب . ●

★ ★ ★

المصادر والمراجع

- الاعلام خير الدين الزركلي
- تاج العروس للزبيدي
- معجم قبائل العرب محمد رضا كحالة (طبعة ١٣٨٨ هـ)
- الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني
- ضرار بن الأزور عبد العزيز الرفاعي سلسلة المكتبة الصغيرة
- الاصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني
- الموسوعة في علوم الطبيعة ادوار غالب
- الوافي بالوفيات للصفدي
- سمط اللآلئ للبكري
- صحيح الأخبار لابن بليهد الطبعة الثانية
- معجم البلدان لياقوت الحموي

- لسان العرب لابن منظور
- تاريخ الأدب العربي
- الأدب القديم الدكتور عمر فروخ
- تهذيب ابن عساكر مطبعة روضة الشام ١٣٣٠ هـ
- الشعر والشعراء ابن قتيبة - تحقيق شاکر طبعة ١٣٦٤ هـ
- خزانة الأدب البغدادي
- شرح حماسة أبي تمام للتبريزي
- ابن أبي عتيق د. عبد العزيز عتيق
- الأمالي لأبي علي القالي طبعة دار الكتب
- تاريخ الأدب العربي بروكلمان
- الموشح للمرزباني طبعة ١٩٦٥ م دار نهضة مصر
- صفة جزيرة العرب تحقيق ابن بليهد مطبعة السعادة ١٩٥٣ م

الفهرس

صفحة	
٣	المقدمة
	حياته
١١	نسبه - من هي أمه
١٨	سيرته
٢٣	موطنه
٣٤	ملاح من حياته
٤٠	أرطاة ووجزة
٤٧	موقفه من الصراعات السياسية والأدبية
	شعره
٥٧	شعره
٨٣	أين ديوانه ؟
٩٦	نشره ؟
١٠١	المصادر والمراجع

مكتشفون ورجال الأعمال

يشقون في التعامل معنا



فكن مع الراقصين

دار نقيف للنشر والتأليف

٢٠٨٩١ ت

الطائف

الكاتب بقلمه ..



* ولدت في بلدة (أبلح)، وهي

مدينة ساحلية صغيرة على البحر

الأحمر.

* نشأت ببلدة المكرمة، وتعلمت

في مدارسها، وتخرجت من المعهد

العلمي السوري سنة ١٣٦٠ هـ

* عملت منذ تخرجي موظفاً ولازلت ..

* اشتريت في بيته المونيات الأدبية :

* بدأت في نشر سلسلة (الكتبة الصغيرة) B

عام ١٣٨٩ هـ، وقد اشترك في تحريرها

عدد من كبار الأدباء والشعراء في المملكة العربية
السورية. كما اشتركت فيها لعدد من وسائل

عيسى